جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

" بواعث العَذْل وأنماطه في شعر البارودي"

إعداد
د. محمد عطا محمد أحمد
مدرس الأدب والنقد في كلية اللغة العربية بجرجا

(**العدد السادس والثلاثون**)
(**الإصدار الثاني .. مايو**)
(١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م)

علمية - محكمة - ربع سنوية
الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

بواعث العَذْل وأنماطه في شعر البارودي

محمد عطا محمد أحمد

قسم الأدب والنقد، كلية اللغة العربية للبنين بجرجا، جامعة الأزهر، جمهورية مصر العربية.

البريد الالكتروني: mohammedahmed2359.el@azhar.edu.eg

ملخص:

يتناول هذا البحث دراسة بواعث العَذْل وأنماطه في شعر البارودي، وقد قمت بدراسة هذا الموضوع بعدما تبين لي أنَّ العَذْل شكَّل حضورا ملموسا في شعر البارودي، ويهدف هذا البحث إلى تحديد مصطلح العَذْل، والكشف عن بواعثه وأنماطه في شعر البارودي، وقد اعتمدت في هذه الدراسة على المنهج التحليلي، ووقع اختياري على هذا المنهج خاصة؛ لأستطيع من خلاله الكشف عن مكنونات النص الشعري، والوقوف على بواعث العَذْل وأنماطه في شعر البارودي، وجاء البحث في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وفهرس المصادر والمراجع وفهرس الموضوعات، تناولت في المقدمة أسباب اختيار الموضوع، وأهميته، والهدف منه، والدراسات السابقة، ومنهج البحث وخطة الدراسة، وبينت في التمهيد معنى العذل لغة واصطلاحا، وتحدثت فيه بإيجاز عن البارودي، وتحدثت في المبحث الأول عن بواعث العَذْل، وتحدثت في المبحث الثاني عن أنماط العَذْل، وتحدثت في المبحث الثالث عن العَذْل والتشكيل الفني للقصيدة، وجاءت الخاتمة مشتملة على أهم النتائج والتوصيات، وقد توصلت من خلال هذا البحث إلى عدة نتائج أهمها: أنَّ العَذْل شكَّل ظاهرة ملموسة في شعر البارودي، وجاء أكثره في العَذْل على الحب، وأغلب العَذْل عند البارودي كان صادرا عن المفرد المذكر وبعضه عن الأنثى، وصدر قليلا عن المثنى المذكر، والجمع المذكر.

الكلمات المفتاحية: بواعث، العَذْل، أنماط، شعر، البارودي.

The motives and patterns of censure in Al-Baroudi's poetry

Mohamed Atta Mohamed Ahmed
Department of Literature and Criticism, Faculty of Arabic Language for Boys, Girga, Al-Azhar University, Egypt.
Email mohammedahmed2359.el@azhar.edu.eg

Abstract:
This research deals with the study of the motives and patterns of censure in Al-Baroudi's poetry. In this study, I relied on the analytical approach, and I chose this approach in particular. Through it, I can reveal the secrets of the poetic text, and stand on the motives and patterns of censure in Al-Baroudi's poetry. The research consisted of an introduction, a preface, three topics, a conclusion, an index of sources, references, and an index of topics. In the introduction, it dealt with the reasons for choosing the topic, its importance, its purpose, previous studies, the research methodology, and the study plan. In the preface, I explained the meaning of censure linguistically and idiomatically, in which I spoke briefly about al-Baroudi, and in the first topic I spoke about the motives of censure, and in the second topic, I spoke about the types of censure, and in the third topic, I spoke about censure and the artistic formation of the poem, and the conclusion included the most important findings and recommendations. Through this research, I reached several conclusions, the most important of which are: that censure is a tangible phenomenon in Al-Baroudi's poetry, and most of it came in censure over love, and most of censure in Al-Baroudi was emanating from the masculine singular and some of it from the female, and a little from the masculine dual, and the masculine plural.

Keywords: Motives, censure, Patterns, Poetry, Baroudi.

المقدمة

يُعد العَذْل مِن الظواهر الشعرية التي شكَّلت حضورًا ملموسًا في الشعر العربي في مختلف عصوره، فبداية مِن العصر الجاهلي تجد اهتمامًا ملحوظًا مِن الشعراء بالعَذْل، وظل الأمر كذلك حتى عصرنا الحالي مع وجود بعض الاختلاف في نظرة الشعراء للعَذْل، ولا عجب أنَّ يشكل العَذْل ظاهرة ملموسة في شعر البارودي وهو رائد مدرسة الإحياء والبعث، الَّذي أعاد للشعر العربي الكثير مِن مكانته ورونقه.

أسباب اختيار الموضوع:

دفعني لاختيار هذا الموضوع عدة أمور منها:

- كثرة حديث البارودي عن العَذْل.
- تنوع بواعث العَذْل، وتعدد أنماطه عند البارودي.

الدراسات السابقة:

على الرغم مِن وجود ظاهرة العَذْل في الشعر العربي منذ العصر الجاهلي حتى وقتنا هذا إلا أنَّ الدراسات النقدية لم تكن بحجم هذه الظاهرة، ومِن هذه الدراسات:

- الجود والبخل في الشعر الجاهلي للدكتور محمد فؤاد نعناع – مطبعة دار طلاس – دمشق– سوريا – الطبعة الأولى: ١٩٩٤م.
- ظاهرة العَذْل في شعر حاتم الطائي د. علي أبو زيد مجلة جامعة دمشق العدد الأول المجلد ١٢ عام ٢٠٠٠م.
- عذل الشاعر في الشعر العربي القديم حتى نهاية العصر الأموي – رسالة ماجستير للباحثة أسماء بنت عبد الله بن محمد الزيد –إشراف د. عبد الله محمد العضيبي جامعة أم القرى بالسعودية– ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.
- العَذْل الديني والمعرفي في الشعر الصوفي للدكتور عباس يوسف الحداد – مطبعة دار الحوار – سوريا – الطبعة الثانية – عام ٢٠٠٩م
- التواصل الحجاجي في الشعر العربي قبل الإسلام –العاذلة أنموذجا – د. ألحان عبد الله محمد مجلة آداب الرافدين العدد ٧٨ عام ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٩م.

هـذا بالنسـبة لظـاهرة العَـذْل، أمـا بالنسـبة للبـارودي فهنـاك الكثيـر مِـن الدراسات النقدية التي تناولت شعره، ودوره في النهوض بالشعر العربي، ومِن هذه الدراسات:

- البارودي رائد الشعر الحديث للدكتور شوقي ضيف – مطبعة دار المعارف – الطبعة الرابعة.
- محمود سامي البارودي للدكتور عمر الدسوقي – مطبعة دار المعارف – عام ١٩٧٠.
- محمود سامي البارودي إمام الشعراء في العصر الحديث للشيخ كامل محمد محمد عويضة – مطبعة دار الكتب العلمية– بيروت – الطبعة الأولى عام ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
- إحياء الشعر البارودي والزهاوي وشوقي وحافظ والرصافي والجواهري لعارف حجاوي – مطبعة دار المشرق بالقاهرة – الطبعة الأولى ٢٠١٨م.
- مِن رثاء الزوجة لوعة فقد الأم على الأبناء بين الشاعرين البارودي ورجب البيومي دراسة بلاغية نقدية موازنة للباحثة/ فاطمة عبد الرسول السيد– بحث منشور في حولية كلية اللغة العربية بجرجا– جامعة الأزهر – العدد الثالث والعشرون للعام ١٤٤١هـ/ ٢٠١٩م.
- القصائد ذات البعد السياسي عند البارودي دراسة تناصية ثقافية للباحثة/ نادية عبد الرحمن محمد علي بحث منشور في حولية كلية اللغة العربية بجرجا– جامعة الأزهر – العدد الخامس والعشرون للعام ١٤٤٢هـ/ ٢٠٢١م.
- قصيدة رثاء الأم عند البارودي بين التأثر والتأثير للباحث/ هشام علي فتح الله أبي خشبة بحث منشور في مجلة كلية اللغة العربية بالمنوفية– جامعة الأزهر – العدد السابع والثلاثون إصدار ديسمبر ٢٠٢٢م.

إلى غير ذلك مِن الدراسات الكثيرة التي تناولت إبداع البارودي، وعلى الرغم مِن كثرة هذه الدراسات إلا إنني لم أجد – فيما وقفت عليه – إشارة إلى ظاهرة العذل عنده.

منهج البحث:

اعتمدت في هذه الدراسة على المنهج التحليلي؛ لأستطيع مِن خلاله الوقوف على بواعث العَذْل وأنماطه في شعر البارودي، والكشف عن مكنونات النص الشعري.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث أنْ يُقسّم إلى مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة يليها بيان بالمصادر والمراجع، وفهرس المحتويات.

المقدمة: تناولت فيها أسباب اختيار الموضوع، وأهميته، والهدف منه، والدراسات السابقة، ومنهج البحث وخطته.

التمهيد: بينت فيه معنى العَذْل لغة واصطلاحا، وتحدثت فيه بإيجاز عن البارودي.

المبحث الأول: بواعث العذل في شعر البارودي، وفيه:

- **الباعث الأول:** جهل العذول بقيمة الحب وعِظم سلطانه.
- **الباعث الثاني:** جهل العذول بمعاناة المُحبين.
- **الباعث الثالث:** حسد العذول.
- **الباعث الرابع:** حرص العذول على مصلحة المعذول وخوفه عليه.

المبحث الثاني: أنماط العذل في شعر البارودي، وفيه:

- **أولا:** العَذْل على الحب.
- **ثانيا:** العَذْل على غير الحب.

المبحث الثالث: العَذْل والتشكيل الفني للقصيدة، وفيه:

- **العَذْل وبنية القصيدة.**
- **العَذْل والمعجم اللغوي.**

الخاتمة: وتحوي أهم نتائج البحث.

فهرس المصادر والمراجع، وفهرس المحتويات

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب

تمهيد

١-مفهوم العَذْل:

العَذْلُ ظاهرة ذات حضور كبير في الشعر العربي، وهي في شعر الغزليين أكثر حضورا مِن غيره؛ لارتباطها في كثير مِن الأحيان بالمحبين، وبالرغم مِن شيوع مادة (ع ذ ل) وتصريفاتها في الشعر العربي عامة، وتناول هذه الظاهرة مِن بعض الباحثين إلا إنني لم أجد فيما وقفتُ عليه مِن بحوث تعريفا واضحًا لها، بل اكتفى هؤلاء الباحثون بذكر معنى العذل في اللغة فقط(١)؛ لذا سأحاول – بمشيئة الله – تحديد مفهوم العَذْل مِن خلال الوقوف على معناه في كتب اللغة، والأدب.

فالعَذْلُ في اللغة كما قَالَ اللَّيْث: اللَوْم، وَهُوَ مصدر عَذَل يَعْذِلُ عَذْلاً وعَذَلا، والعُذَّال جمع العاذل، والعواذل مِن النِّسَاء جمع العاذلة، وَيجوز العاذلات، وروى أَبُو الْعَبَّاس عَن ابْن الأعرابيّ قَالَ: العَذْل: الإحْراق، فَكَأَنَّ اللائم يُحْرِق بعَذْله قلب المعذول.(٢)

(١) يُنظر على سبيل المثال: ظاهرة العذل في شعر حاتم الطائي د. علي أبو زيد مجلة جامعة دمشق العدد الأول المجلد ١٢ عام ٢٠٠٠م، وعذل الشاعر في الشعر العربي القديم حتى نهاية العصر الأموي رسالة ماجستير للباحثة أسماء بنت عبد الله بن محمد الزيد –إشراف د. عبد الله محمد العضيبي جامعة أم القرى بالسعودية– ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، والتواصل الحجاجي في الشعر العربي قبل الإسلام –العاذلة أنموذجا – د. ألحان عبد الله محمد مجلة أداب الرافدين العدد ٧٨ عام ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٩م.

(٢) يُنظر تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي تحقيق: محمد عوض مرعب ٢/ ١٩١ – مطبعة دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة الأولى – عام ٢٠٠١م.

ويقول ابن منظور: العَذْل: اللَّومُ، والعَذْل مثلُه، عَذَلَهُ يَعْذِلُه عَذْلًا وعَذَّلَه فاعْتَذَل، وَالِاسْمُ العَذَلُ، وَهُمُ العَذَلةُ والعُذَّالُ والعُذَّلُ، والعواذِل مِنَ النِّسَاءِ: جَمْعُ العاذِلة وَيَجُوزُ العاذِلات، ورجُلٌ عَذَّالٌ وامرأَة عَذَّالةٌ: كَثِيرَةُ العَذْل، والعَذْلُ: الإِحْراق فكأَنَّ اللَّائِمَ يُحْرِق بعَذْله قلبَ المَعْذول، وأَنشد الأَصمعي:

لوَّامةٌ لامَتْ بلَوْمٍ شِهَبِ

وَقَالَ: الشِّهَب أَراد الشِّهاب كأَنَّ لَوْمها يُحْرِقُه.(١)

ويقول الزبيدي: الْعَذْلُ: الْمَلاَمَةُ، عَذَلَهُ، يَعْذِلُهُ، عَذْلاً، كالتَّعْذِيلِ، شُدِّدَ لِلْكَثْرَةِ، والاِسْمُ: الْعَذَلُ، مُحَرَّكَةً، واعْتَذَلَ الرَّجُلُ، وَتَعَذَّلَ: أَي قَبِلَ مِنْهُ الْمَلاَمَةَ، وأَعْتَبَ، وقالَ ابنُ الأَعْرابِيِّ: العَذْلُ: الإِحْراقُ، فَكَأَنَّ اللَّائِمَ يُحْرِقُ بِعَذْلِهِ قَلْبَ المَعْذُولِ، وهُمُ الْعَذَلَةُ، مُحَرَّكَةً والْعُذَّالُ كرُمَّانٍ، والْعُذَّلُ، كسُكَّرٍ، كُلُّ ذلكَ جَمْعُ عاذِلٍ.(٢)

ومما يدخل في العذل أيضا الملاحاة إذا جاءت بمعنى اللوم يقول ابن منظور: لَحَيْت الرَّجُلَ أَلْحَاه لَحْياً إذا لُمْتَه وعَذَلته، ولاحَيْتُه مُلاحَاةً ولِحَاء إذا نازَعْته، ولَحَا الرجلَ يَلْحَاه لَحْيًا: لَامَهُ وَشَتَمَهُ وعَنَّفه.(٣)

بالنظر إلى ما ورد في كتب اللغة يتضح لنا أنَّ العَذْل يدور – فيما يتصل بموضوعنا – حول معنيين هما: اللوم، والإحراق، فالمعنى الأول وهو اللوم يدل على ما يكون بين العاذل والمعذول مِن حديث، كما يدل على أنَّ العاذل لا يريد كيد المعذول وإيلامه، وإنَّما يُريد نصحه، بخلاف المعنى الآخر وهو الإحراق فإنَّه

(١) يُنظر لسان العرب لابن منظور ١١/ ٤٣٧ بتصرف – مطبعة دار صادر – بيروت – الطبعة الثالثة – ١٤١٤هـ.

(٢) يُنظر تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي ٢٩/ ٤٥٧ مطبعة دار الهداية دون ذكر رقم الطبعة وسنة الطباعة.

(٣) يُنظر لسان العرب لابن منظور١٥/ ٢٤٢ بتصرف.

يدل على أنَّ العاذل يقصد إيلام المعذول وإحراق قلبه، ومما يتضح أيضا أنَّ من أسماء اللائم وصفاته: العاذل، والعذول، والعَذَّالٌ، والعَذْلةُ، والعُذَّالُ، والعَذْل، والعاذِلة، والعواذِل، العاذِلات، والعَذَّالةٌ، أمَّا المَلُوم وهو الَّذي يُوجَّه إليه اللوم فيُسمى المعذول، كما يتضح أيضا أنَّ العَذْل قد يصدر مِن رجل أو امرأة أو فرد أو جماعة.

وإذا يممنا وجهنا نحو كتب الأدب لنستبين معنى العَذْل وجدنا أنَّ بعضًا مِن الأدباء والنقاد تحدث عن العَذْل، فمنهم مَن قام بجمع بعض الأشعار التي اشتملت على العَذْل، ومِن هؤلاء النقاد (أبو هلال العسكري) الَّذي أورد أشعارا كثيرة في كتابه ديوان المعاني في الباب الرابع تحت عنوان "مِن جيد ما قيل في رد العذول"(١)، وكذلك فعل صاحب التذكرة الحمدونية الَّذي جمع أشعارا كثيرة تحت عنوان: "في ذكر العذول والرقيب"(٢)، ووجدنا بعضهم يتحدث عن العَذْل بشيء مِن التفصيل ومِن هؤلاء (ابن حزم) فتجده يتحدث عن العَذْل قائلا: وللحب آفات، فأولها العاذل، والعُذَّال أقسام: فأصلهم صديق قدْ أسقطتَ مؤنة التحفظ بينك وبينه، فعَذله أفضل مِن كثير المساعدات، وهو بين الحض والنهي، وفي ذلك زاجرٌ للنفس عجيب، وتقوية لطيفة لها غوص وعمل، ودواء تستد عليه الشهوة، ولا سيما إنْ كان رفيقًا في قوله، حَسَن التوصل إلى ما يورد مِن المعاني بلطفه، عالمًا بالأوقات التي يؤكد فيها النهي، وبالأحيان التي يزيد فيها الأمر، والساعات التي يكون فيها واقفًا بين هذين، على قدر ما يرى مِن تَسَهُّل العاشق

(١) يُنظر ديوان المعاني لأبي هلال العسكري ١/ ٢٧٣ وما بعدها – دار الجيل – بيروت – دون ذكر رقم الطبعة وسنة الطباعة.

(٢) يُنظر التذكرة الحمدونية لابن حمدون ١١٣/٦ وما بعدها – مطبعة دار صادر– بيروت – الطبعة الأولى – عام ١٤١٧هـ.

وتَوَعُره، وقَبوله وعصيانه. ثم عاذل زاجر لا يفيق أبدًا مِن الملامة، وذلك خطب شديد وعبء ثقيل.(١)

فابن حزم يجعل العَذْل خاصًا بما يقع للمحب مِن لوم، مع أنَّ العَذْل يكون على الحب وغيره كما سيأتي، ثم إنَّه يجعل العَذْل على قسمين عَذْل مقبول وهو ما يكون مِن الصديق المحب الَّذي يرفق في قوله ويختار الوقت المناسب، وعَذْل ثقيل مرفوض وهو ما يكون مِن العاذل الغليظ الَّذي لا يترفق في قوله، وهذا العَذْل يكون مصيره عدم استجابة المعذول.

ويصف (ابنُ خاتمة) العاذلَ فيقول: "وأمَّا العاذلُ فَمُسَلَّط اللسان على كل مُحِب هيمان، يرشُقُه بِسِهامِ ملامِه، ويَلُوكُه لوكَ المُهِر لِحكمَة لِجَامِه، كلماتُه مُحْفِظَات، باردةُ العِظَات، مُظهرة لوجوه الحَسَنات في مَظَاهِر الهَنَات، إنْ قالَ أحَال، وإنْ تكلَّم آلَمَ، وإنْ سلَّم تودُ لو تَرَكَ السُنَّة وما سلَّم"(٢) والناظر إلى كلام ابن خاتمة يجده يذكر نوعا واحدا مِن العُذَّال وهو العاذل الحاقد الَّذي يمتلئ غيظا وحقدا على المحبين، ويحاول بشتى الطرق إغاظة المعذول، وإفساد علاقته بمحبوبه.

والعَذْل مِن الظواهر الشعرية القديمة التي وُجِدَت في شعر العصر الجاهلي وما تلاه مِن عصور، وقد يختلف العَذْل مِن زمن إلى زمن ومِن بيئة إلى بيئة، يقول أحد الباحثين متحدثا عن اختلاف العَذْل في شعر العذريين عنه

(١) يُنظر طوق الحمامة وظل الغمامة في الأُلفة والأُلَّاف لابن حزم الظاهري تحقيق: عبد الحق التركماني ص ٢٤٩، ٢٥٠ – مطبعة دار ابن حزم – بيروت – لبنان – الطبعة الثانية –عام ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

(٢) ديوان ابن خاتمة الأنصاري وبه رسالة: الفصل العادل بين الرقيب والواشي والعاذل تحقيق وشرح د. محمد رضوان الداية ص ٢٢٧– مطبعة دار الفكر – دمشق – الطبعة الأولى – عام ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

في الشعر الجاهلي: يمكن القول بأنَّ العاذل في الشعر العذري أصبح شرسا غير أليف للمعذول، مقارنة بالعاذل في الشعر الجاهلي الَّذي كان –غالبا– عاذلا لصيقا بالمحب، فهو إمّا الزوجة أو الخليلة التي تعذل صاحبها عن إتلاف المال بكرمه الزائد، وعلى المخاطرة بنفسه وحياته.(١)

ولا يختص العَذْل بالحب فقط إنما هو باب واسع فتدخل فيه أشياء أخرى كالعَذْل على بذل المال، وشرب الخمر، وغير ذلك، يقول الدكتور محمد فؤاد متحدثا عن عَذْل المرأة في الشعر الجاهلي: على أنَّ المرأة غالبا ما كانت تعذل لأسباب تتصل بالجود والسخاء، فالبذل على الأصدقاء ومجالس الشراب، والذَّهاب مع نساء أخريات، والميسر، وعقر الإبل لإطعام الأصحاب، كل هذه المسرات واللذات كانت تدعو المرأة إلى العَذْل.(٢)

مِن خلال ما سبق يمكننا أنْ نضع تعريفا للعذل بأنَّه: اللوم الَّذي يوجهه العاذلُ للمعذول بغرض نصحه، أو بهدف التنغيص عليه، أو إفساد علاقته بمَن يُحِب.

٢–التعريف بالبارودي:

أولا: اسمه ومولده ونشأته:

هو محمود سامي بن حسن حسني بن عبد الله البارودي المصري جركسي الأصل، والبارودي نسبة إلى (إيتاي البارود) بمصر.(٣)

---

(١) يُنظر العَذْل الديني والمعرفي في الشعر الصوفي للدكتور عباس يوسف الحداد ص ٣٦ – مطبعة دار الحوار – سوريا – الطبعة الثانية – عام ٢٠٠٩م.

(٢) الجود والبخل في الشعر الجاهلي للدكتور محمد فؤاد نعناع ص ٥٦ – مطبعة دار طلاس – دمشق– سوريا – الطبعة الأولى: ١٩٩٤م.

(٣) يُنظر الأعلام للزركلي ٧/ ١٧١ – مطبعة دار العلم للملايين – الطبعة الخامسة عشر– عام ٢٠٠٢م.

يحدثنا الدكتور شوقي ضيف عن مولد البارودي فيقول: كان والد البارودي ضابطا في الجيش المصري، وما زال يترقى حتى أصبح من أمراء المدفعية، وقد وُلد لهذا الضابط الَّذي تمتلئ نفسه بالطموح والشعور بالشجاعة والقوة (محمود البارودي) في السابع والعشرين من شهر رجب سنة ١٢٥٥هـ المقابل للسابع من شهر أكتوبر سنة ١٨٣٩م، ولم يبلغ محمود السابعةَ من عمره حتى سلبه الموتُ أباه مخلّفا له الحسرة واللوعة.(١)

ويقول الدكتور عمر الدسوقي عن نشأة البارودي: تلقى البارودي دروسه الأولى في البيت حتى بلغ الثانية عشرة، ثم التحق بالمدرسة الحربية مع أمثاله مِن أبناء الجراكسة والأتراك، وأبناء الطبقة الحاكمة، وتخرج في المدرسة الحربية سنة ١٨٥٤م وهو في السادسة عشرة من عمره.(٢)

وبعد تخرجه تقلد البارودي الكثير مِن المناصب وظلّ هكذا حتى نُفي إلى جزيرة (سرنديب) إثر مشاركته في التصدي للعدوان الإنجليزي على مصر، وقَضَى في منفاه نيفا وسبعة عشر عاما.(٣) وقد تكاثرت الأمراض عليه في منفاه حتى كاد أنْ يُصاب بفقدان بصره، فقررت جمعية الأطباء في سرنديب ضرورة عودته إلى موطنه، وعاد البارودي إلى مصر في غضون عام ١٩٠٠م، وردَّ عليه الخديوي عباس أملاكه المُصادرة. (٤)

(١) يُنظر البارودي رائد الشعر الحديث للدكتور شوقي ضيف ص ٤٦، ٤٧ بتصرف كبير – مطبعة دار المعارف – الطبعة الرابعة.

(٢) يُنظر محمود سامي البارودي للدكتور عمر الدسوقي ص ٢٢ بتصرف – مطبعة دار المعارف – عام ١٩٧٠.

(٣) يُنظر البارودي رائد الشعر الحديث للدكتور شوقي ضيف ص ٨١.

(٤) يُنظر السابق ص ٩٤.

وفاته:

بعد عودة البارودي إلى مصر عَكَف على تنقيح ديوانه، وحذف ما لا يروقه مِنه، وتدوين مختاراته وترتيبها، وأخيرًا فاضت روحه إلى بارئها، وأسلم هذه الشعلة المتوهجة في شوال سنة ١٣٢٢هـ/ ديسمبر ١٩٠٤م.(١)

منزلته الشعرية:

اتسم الشعر قبل ظهور البارودي بالجمود والسطحية والركاكة فلمّا جاء البارودي نهض بالشعر نهضة كبرى، يقول الدكتور شوقي ضيف: ومما لا ريب فيه أنَّ الشعر كان قد فقد روحه، حتى غدا كأنّه جسم يخلو مِن الحياة، إذ فسدت الأذواق والقرائح وعمَّت فيه التعبيرات الركيكة المبتذلة والمعاني السقيمة المرددة والأساليب البديعية الملتوية، فإذا البارودي يخلِّصه مِن هذه الأعشاب التي غَطَّت على روحه، ويردُ إليه نضرته، ويشيع فيه الحياة.(٢)

ويقول الشيخ كامل محمد عويضة: كان ظهور البارودي إيذانا بتحرر الشعر العربي مِن أثقال القيود البديعية التي رزح تحتها أجيالا طويلة، كما كان إيذانا بتحرره مِن الأغراض المبتذلة.(٣)

آثاره الأدبية:

خلَّف البارودي ديوان شعريا ضخما، ومختارات مِن الشعر في أربعة أجزاء، وخلَّف أيضا بعض المختارات والكتابات النثرية. (٤)

---

(١) يُنظر محمود سامي البارودي للدكتور عمر الدسوقي ص ٢٥.

(٢) يُنظر البارودي رائد الشعر الحديث للدكتور شوقي ضيف ص ١٦٨، ١٦٩ بتصرف.

(٣) يُنظر محمود سامي البارودي إمام الشعراء في العصر الحديث للشيخ كامل محمد محمد عويضة ص ٦٠ مطبعة دار الكتب العلمية- بيروت – الطبعة الأولى عام ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

(٤) يُنظر محمود سامي البارودي للدكتور عمر الدسوقي ص ٣٣، ٣٤ بتصرف كبير.

المبحث الأول

بواعث العَذْل في شعر البارودي

البارودي كغيره مِن الشعراء يضيق ذرعا مِن العَذْل؛ لِما يسببه العَذْل مِن ألَم وحزن، ومِن خلال استقراء شعر العَذْل عند البارودي يمكننا أنْ نقف على أسباب العَذْل وبواعثه، وهي تتمثل –كما يرى البارودي – في عدة أمور أُجليها فيما يلي:

الباعث الأول: جهل العذول بقيمة الحب وعِظم سلطانه:

إنَّ الجهل مِن أشد الآفات ضررا، ومِن أكثر الأدواء التي يصعب علاجها، فالجهل بالشيء – غالبا– يجعل الإنسان نافرا مِنه، عازفا عنه، وفي المثل (الإنسان عدوّ ما جهل)(١) وكثير مِن الناس يجهل قيمة الحب، ويستهين بسلطانه على القلوب فإذا ما رأى مُحِبا أو عاشقا سارع إلى لومه، يقول البارودي:(٢) (من البسيط)

فَخَلِّ عَنْكَ مَلامِي يَا عَذُولُ فَقَدْ ∴ سَرَّتْ فُؤَادِي عَلَى ضَعْفٍ بِهِ الْعِلَلُ(٣)

لا تَحْسَبَنَّ الْهَوَى سَهْلاً فَأَيْسَرُهُ ∴ خَطْبٌ لَعَمْرُكَ لَوْ مَيَّزْتَهُ جَلَلُ

يَسْتَنْزِلُ الْمَلْكَ مِنْ أَعْلَى مَنَابِرِهِ ∴ وَيَسْتَوِي عِنْدَهُ الرِّعْدِيدُ وَالْبَطَلُ(٤)

---

(١) الأمثال المولدة لأبي بكر الخوارزمي ص ١١٣– مطبعة المجمع الثقافي – أبو ظبي – عام ١٤٢٤هـ.

(٢) ديوان البارودي حققه علي الجارم، محمد شفيق معروف ص ٤٧٠ مطبعة دار العودة – بيروت ١٩٩٢م.

(٣) سرت: سَرَّه طَعَنَهُ فِي سُرَّته؛ قَالَ الشَّاعِرُ:

نَسُرُّهُمُ إِن هُمُ أَقْبَلُوا ∴ وإن أَدْبَرُوا، فَهُمُ مَنْ نَسُبْ

أَي نَطْعُنُه فِي سُبَّتِه. يُنظر لسان العرب لابن منظور ٤/ ٣٦٠.

(٤) الرعديد: الجَبَانُ الّذي يُرْعَدُ عِنْدَ الْقِتَالِ جُبْنًا. يُنظر السابق ٣/ ١٧٩.

فَكَيْفَ أَدْرَأُ عَنْ نَفْسِي وَقَدْ عَلِمَتْ ∴ أَنْ لَـيْسَ لِـي بِمُنَـاوَاةِ الْهَـوَى قِبَـلُ

يوضح البارودي في الأبيات السابقة قيمة الحب وعِظم سلطانه مِن وجهة نظره، فسلطان الحب لا يقاوم، وسطوته لا تناهض، وجميع مَن ذاق حلاوته يخضع لسلطانه، ويستسلم لحكمه يستوي في ذلك الخضوع والاستسلام المَلِكُ والمملوك، الشجاع والجبان، وكلام البارودي هذا لا يصدر إلا مِمَن عرف الحب وذاقه، وخبر سلطانه على النفس، وقوله (يَسْتَنْزِلُ الْمَلْكَ مِنْ أَعْلَى مَنَابِرِهِ) فيه دلالة على قوة سلطان هذا الحب فهو يُخضِع هذا المَلَك المُهاب الذي تخضع له الرعية، بل يستنزله مِن أعلى مواضع ملكه، والشاعر يريد مِن وراء حديثه هذا أنْ يوضح قيمة الحب وعظمته ليزيل جهالة العذول حتى يعي هذه القيمة ويُبصر تلك الحقيقة فَيَكف عن عذله ويتوقف عن لومه.

الباعث الثاني: جهل العذول بمعاناة المُحبين:

إنَّ مَن لم يُكابد العشق، ولم يقاسِ الغرام لا يشعر بما يعانيه العشاق والمحبون، فتراه يكيل لهم اللوم والتوبيخ على أفعالهم وأحوالهم، ولو أنَّه علم حقيقة حالهم لرحمهم ورأف بهم يقول البارودي: [١] (من الكامل)

يَـا لائِـمَ الْمُشْـتَاقِ فِـي أَطْرَابِـهِ ∴ مَهْـلاً إِلَيْـكَ فَلَسْـتَ مِـنْ لُوَّامِـهِ[٢]

أَظَنَنْـتَ لَوْعَتَـهُ فُكَاهَـةَ مَـازِحٍ ∴ فَطَفِقْـتَ تَعْذِلُـهُ عَلَـى تَهْيَامِـهِ[٣]

إِنْ كُنْتَ تُنْكِرُ شَجْوَهُ فَانْظُر إِلَـى ∴ أَنْفَاسِـــهِ وَدُمُوعِـــهِ وَسَـــقَامِهِ

صَبّ بَرَتْـهُ يَدُ الضَّنى حَتَّى اخْتَفَى ∴ عَنْ أَعْيُنِ الْعُوَّادِ غَيْرَ كَلامِـهِ[٤]

---

(١) ديوان البارودي ص ٦١٣.

(٢) أطرابه: جمع طرب والطَّرَبُ: الفَرَح والحُزْنُ، وَقِيلَ: الطَّرَبُ خِفَّةٌ تَعْتَرِي عِنْدَ شدَّة الفَرَح أَو الحُزن وَالْهَمِّ. يُنظر لسان العرب لابن منظور ١/ ٥٥٧.

(٣) طَفِقَ: لَزِمَ. يُنظر السابق ١٠/ ٢٢٥.

(٤) الضَّنَى: المرضُ، وضَنِيَ الرجلُ، بِالْكَسْرِ، يَضْنَى ضَنىً شَدِيدًا إِذَا كَانَ به مرضٌ مُخامرٌ. يُنظر السابق١٤/ ٤٨٦.

نَطَقَتْ مَدَامِعُهُ بِسِرِّ ضَمِيرِهِ ∴ وَذَكَتْ جَوَانِحُهُ بِنَارِ غَرَامِهِ

طَوْرَاً يُخَامِرُهُ الذُّهُولُ وَتَارَةً ∴ يَبْكِي بُكَاءَ الطِّفْلِ عِنْدَ فِطَامِهِ

يخاطب البارودي في هذه الأبيات هذا العذول الَّذي تمادى في لومه، وأبى أنْ ينصرف عن عذله، مطالبا إياه بالتريث والتمهل وأنْ ينظر نظرة إنصاف إلى هذا العَاشِق، وقوله: (لائم المشتاق) فيه دلالة على أنَّ هذا العذول لا ينقطع عن لومه بل هو مُصرٌ عليه، كما أنَّ قوله: (فطفقتَ تعذله) تأكيد لذلك فهو ملازم لعذله ولومه، ويرسم البارودي صورة حزينة مؤلمة لذلك العاشق، وقوله: (الصب: أي العاشق المُشْتَاق) فيه دلالة على شدة تعلق هذا العاشق ومدى تمكن العشق والحب مِن قلبه، حتى أصبح منحوتا كالقلم أو السهم، وكاد أنْ يختفي فلا يسمع عواده سوى صدى كلامه، وصوت أنينه، ولا يرون غير مدامعه التي تحكي معاناته، وتصور آلامه، ثم إنَّ هذا العاشق أصبحت حياته بين طورين لا ثالث لهما فهو إمَّا يعيش في ذهول، وإمَّا يدخل في نوبات بكاء كبكاء الطفل عند فطامه، وبكاء الطفل عند الفطام مِن أشد أنواع البكاء، ولعلك تلحظ أنَّ البارودي في هذه الأبيات صب تركيزه على رسم صورة العاشق المحب وما يعانيه في حبه مِن آلام وأوجاع، تلك الآلام والأوجاع التي يجهلها العُذَّال واللُوَّام؛ فيتمادون في عَذْلهم، وهو يقصد مِن وراء ذلك دعوة هؤلاء العُذَّال إلى الكف عن عَذْلهم.

وفي قصيدة أخرى يقول البارودي: [1] (من الكامل)

تَاللهِ لَوْ عَلِمَ الْعَذُولُ بِمَا جَنَى ∴ طَرْفِي عَلَيَّ لَسَاءَهُ أَنْ يَشْمَتَا

يستهل البارودي بيته بهذا القَسَم الَّذي يحمل في طياته دلائل صدق معاناته، التي لو علم العذول مقدارها لتوقف عن شماتته فضلا عن لومه، وعدم ذكر البارودي لما جناه طرفه عليه وتركه دون بيان فيه إشارة إلى فداحة ما جناه

(١) ديوان البارودي ص ٩٤.

طرفه عليه؛ ولذلك ترك المجال لخيال المتلقي ليتصور السوء الَّذي وصل إليه الشاعر، وجهل العذول بهذه المعاناة التي يعيشها الشاعر يجعله لا يتوقف عن لومه وشماتته.

الباعث الثالث: حسد العذول:

والحسد داء عضال، وسقم مستعص، يصعب علاجه، يقول الجاحظ: "والحسد– أبقاك الله– داء ينهك الجسد، ويفسد الودّ، علاجه عسر، وصاحبه ضجر، وهو باب غامض وأمر متعذّر، وما ظهر مِنه فلا يداوى، وما بطن مِنه فمداويه في غناء"(١)، ويرى البارودي أنَّ الحسد هو أحد أسباب العَذْل وبواعثه فيقول:(٢) (من البسيط)

جَاوَزْتَ فِي اللَّوْمِ حَدَّ الْقَصْدِ فَاتَّئِدِ ∴ فَلَسْتَ أَشْفَقَ مِنْ نَفْسِي عَلَى كَبِدِي(٣)

دَعْنِي مِنَ اللَّوْمِ إِنْ كُنْتَ امْرَأً فَطِناً ∴ فَاللَّوْمُ فِي الْحُبِّ مَعْدُودٌ مِنَ الْحَسَدِ

إِنِّي لأَرضَى بِمَا فِي الْحُبِّ مِنْ أَلَمٍ ∴ وَلَسْتُ أَرْضَى بِمَا فِي الْقَوْلِ مِنْ فَنَدِ(٤)

لَوْ كَانَ لِلْمَرْءِ عَقْلٌ يَسْتَدِلُّ بِهِ ∴ عَلَى الْحَقِيقَةِ لَمْ يَعْتُبْ عَلَى أَحَدِ

إِنْ كُنْتَ ذَا إِمْرَةٍ فَانْهَ الصَّبَابَةَ عَنْ ∴ قَلْبِي لِتَغْنَمَ شُكْرِي آخِرَ الأَبَدِ

أَوْ لا فَدَعْنِي وَلا تَعْنُفْ عَلَيَّ فَمَا ∴ أَمْرِي إِلَيَّ وَلا حُكْمُ الْهَوَى بِيَدِي

يكشف لنا البارودي في هذه الأبيات عن الباعث الثالث مِن بواعث العَذْل – كما يرى – وهو الحسد، فيخاطب ذلك العذول الَّذي تمادى في عَذْله بأنْ يتمهل ويتريث بل ويكف عن لومه، ويخاطبه البارودي بمنطق العقل بأنَّ الإنسان هو أكثر الناس شفقة على نفسه، وهو أعلم بنفسه ودواخلها مِن غيره، وكأنه يقول

(١) الرسائل الأدبية للجاحظ ص ١١٥ – دار ومكتبة الهلال– بيروت – الطبعة الثانية– عام ١٤٢٣هـ.

(٢) ديوان البارودي ص ١٨٦.

(٣) اتئد: التُّؤَدَةِ بِمَعْنَى التأَني. يُنظر لسان العرب لابن منظور ٣/ ٧٥.

(٤) فند: الفَنَدُ: الخطأُ فِي الرأْي وَالْقَوْلِ. يُنظر السابق ٣/ ٣٣٨.

له دعني وشأني، ولتهتم بنفسك وأمورك، وفي قوله: (فَاللَّوْمُ في الْحُبِّ مَعْدُودٌ مِنَ الْحَسَدِ) إشارة مِن البارودي بأنَّ الحسد دافع للعَذْل على الحب خاصة، وهذا على سبيل المبالغة مِنه؛ لأنَّ الحسد قد يكون باعثا للعذل في غير الحب أيضا، كما أنَّ تعدد المؤكدات في قوله: (إِنِّي لأَرضَى بِمَا في الْحُبِّ مِنْ أَلَمٍ) دلالة على شدة تعلق الشاعر بمحبوبته، ويستمر البارودي في استخدام المنطق والعقل فيخاطب عقل العذول لعلمه بجفاء قلبه وقسوته مخبرا إياه بأنَّ الإنسان العاقل الَّذي يعرف حقائق الأمور، وبواطن النفوس لا يعتب على أحد، بل يترك كل إنسان وشأنه، ويستمر البارودي في مخاطبة ذلك العذول مخيرا إياه بين أمرين الأول: أنْ يُبعد العشق والهوى عن قلب المحبين، الآخر: هو أنْ يكف عن عذله، ويستبين لنا أنَّ الأمر الأول خارج عن استطاعة البشر فأمر القلوب إلى بارئها، ولا يستطيع العذول ولا غيره أنْ يصرف قلوب المحبين عن العشق والهوى، وأما الآخر فهو في مقدور العذول فهو يستطيع أنْ يمسك لسانه، ويتوقف عن عَذْله، وكأنَّ البارودي يدفع العذول دفعًا إلى التوقف عن عَذْله.

وفي قصيدة أخرى يقول البارودي:[1] (من المنسرح)

وَأَيُّ لَوْمٍ عَلَى امْرِئٍ طَلَبَ الْـ ∴ لَهْوَ وَأَثْوَابُ عُمْرِهِ جُدُدُ

لِكُلِّ عَصْرٍ مِنْ كَبْرَةٍ وَصِبًا ∴ شَوْطٌ لَهُ بَعْدَ مُهْلَةٍ أَمَدُ

فَاسْعَ لِمَا شِئْتَ غَيْرَ مُتَّئِدٍ ∴ فَلَنْ يَحُوزَ الْكَمَالَ مُتَّئِدُ

لَوْلا سُرَى الْبَدْرِ مَا اسْتَنَارَ وَلا ∴ أَدْرَكَ شَأْوَ الْخِطَارِ مُنْجَرِدُ[2]

(١) ديوان البارودي ص ١٨٥.

(٢) الشَّأْوُ: الغَايةُ والأَمَدُ. يُنظر لسان العرب لابن منظور ١٤/ ٤١٧، الخِطار: جمع الخَطَر وهو السَّبَقُ الَّذِي يُتَرَامَى عَلَيْهِ فِي التَّرَاهُنِ، والخَطَرُ؛ الرَّهْنُ بِعَيْنِهِ. والخَطَرُ: مَا يُخاطَرُ عَلَيْهِ. يُنظر السابق ٤/ ٢٥١، مُنجرد: قصيرُ الشعرِ حَتَّى يُقَالَ إنه لأَجْرَدُ الْقَوَائِمِ، وَذَلِكَ مِنْ عَلَامَاتِ العِتْق والكَرَم. يُنظر السابق ٣/ ١١٦.

وَلا يَهُمَّنْــكَ لَــوْمُ ذِي حَسَــدٍ ∴ فَشَــأْنُ أَهْــلِ العَــدَاوَةِ الْحَسَــدُ

لَــوْ حَــذِرَ الْمَــرءُ كُــلَّ لائِمَــةٍ ∴ لَضَــاعَ مِنْــهُ الصَّــوَابُ وَالرَّشَــدُ

وَلَــوْ أَصَــخْنَا لِكُــلِّ مُنْتَقِــدٍ ∴ فَكُــلُّ شَــيءٍ فِــي الــدَّهْرِ مُنْتَقَــدُ

يرى البارودي في أبياته السابقة أنَّه لا حرج على المرء أنْ يجعل لنفسه شيئا مِن اللهو واللعب خاصة في مرحلة الشباب، وعلى الإنسان ألَّا يلتفت للوم الحاسدين؛ لأنَّه لو فعل ذلك لعاش ومات في موقعه لا يبرحه، وهذا يُنافي طبيعة الكون التي تقتضي الحركة والتطور، وفي قوله: (وَلا يَهُمَّنْكَ لَوْمُ ذِي حَسَدٍ) إشارة إلى أنَّ اللوم يصدر من الحاسدين ومِن غيرهم، فلوم الحاسدين لوم مذموم لا يؤخذ به، ولا يُتوقف عنده؛ لأنَّه صادر عن حسد وحقد، أما اللوم الّذي يصدر عن المحبين فربما يكون محمودا، وهذا اللوم ينبغي أنْ يُؤخذ في الحسبان، فقد تكون مصلحة الملوم فيه.

الباعث الرابع: حرص العذول على مصلحة المعذول وخوفه عليه:

إنَّ مِن تمام المحبة أن يحرص المُحب على حياة ومصلحة مَن يُحب، وقد يدفع ذلك الحرصُ والخوفُ المُحِبَ على توجيه اللوم إلى مَن يحبه ويهتم لأمره، فتجده يلومه على كثرة الإنفاق يقول البارودي:[١] (من الطويل)

يَلُومُــونَنِي فــي الْجُــودِ وَالْجُــودُ مُزْنَــةٌ ∴ إِذَا هَمَلَتْ فِي مَوْضِعٍ نَبَتَ الشُّكْرُ[٢]

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يُنْفِقْ مِنَ الْمَالِ وُسْعَ مَا ∴ دَعَتْــهُ الْمَعَــالِي فَــالثَّرَاءُ هُــوَ الْفَقْــرُ

إنَّ هؤلاء العُذَّال الذين يلومون البارودي على جُوده، وكثرةِ إنفاقه يجهلون – في رأيه – قيمة الكرم، ومنزلة البذل، ومكانة السخاء، ولو أنَّهم علموا ذلك ما

(١) ديوان البارودي ص ٢٧٩.

(٢) همَلت: هَمَلَتِ السماءُ وانْهَمَلَتْ: دَامَ مطرُها مَعَ سكونٍ وضعفٍ. يُنظر لسان العرب لابن منظور ١١/ ٧١٠.

لاموه على جوده، بل ربما أعانوه على ذلك، ويظهر مِن خلال البيتين أن دافع هؤلاء اللائمين هو شفقتهم وخوفهم على البارودي مِن ذَهاب ماله، والدليل على ذلك أنَّه لم يذمهم أو يُعرِّض بهم.

ويقول البارودي:[1] (من الخفيف)

يـا نَـدِيمَيَّ مِـنْ سَـرَنْدِيبَ كُفَّـا ∴ عَـنْ مَلامِـي وَخَلِّيـاني لِمَـا بِـي[2]

كَيْفَ لا أَنْدُبُ الشَّبابَ وَقَدْ أَصْـ ∴ ـبَحْتُ كَهْـلاً فـي مِحْنَـةٍ وَاغْتِـرابِ

والبيتان مِن قصيدة طويلة أبدع فيها البارودي في ذكر أيام شبابه وعهده في مصر، وهو يطلب من نديميه أنْ يكفَّا عن لومه في حنينه إلى موطنه وعهد شبابه، ولم يكشف لنا عن نديميه –ولا شك أنهما من رفقائه في المنفى– ولكنَّه كشف لنا عمَّا يلومانه عليه وهو شوقه لشبابه وعهد فتوته بمصر، ولعل الدافع إلى لومه مِن نديميه إشفاقهما عليه لِمَا بدا لهما من فرط شوقه وشدة تعلقه بماضيه التليد، فهو لوم محمود، ولذلك لم يقل: (عاذليَّ) وإنما قال: (نَدِيمَيَّ) وأصل النديم هو المجالس على الشراب، وليس هو المقصود هنا وإنما يقصد المصاحب له في منفاه، وقد أورد ابنُ سيده في مخصصه أنَّ النديم قد يُراد به المصاحب والمجالس على غير الشَّرَاب.[3]

---

(١) ديوان البارودي ص ٦٧.

(٢) سَرَنديب: بفتح أوّله وثانيه، وسكون النون، ودال مهملة مكسورة، وياء مثناة من تحت، وباء موحدة هي جزيرة عظيمة في بحر هركند بأقصى بلاد الهند. يُنظر معجم البلدان لياقوت الحموي ٣/ ٢١٥، ٢١٦ –مطبعة دار صادر – بيروت – الطبعة الثانية – عام ١٩٩٥م.

(٣) المخصص لابن سِيده تحقيق/ خليل إبراهيم جفال ٣/ ٢٠٧ – مطبعة دار إحياء التراث العربي – بيروت – الطبعة الأولى– عام ١٤١٧هـ /١٩٩٦م.

المبحث الثاني

أنماط العَذْل في شعر البارودي

شكَّلتْ ظاهرةُ العَذْل حضورا كبيرا في شعر البارودي، وقد جاء أكثر العَذْل مرتبطا بالمحبوبة، وجاء بعضه مرتبطا بأسباب أخرى تتصل بالمروءة والكرم والسفر؛ لذا سأتناول ظاهرة العَذْل عند البارودي مِن خلال نمطين رئيسين:

الأول: العَذْل على الحب. **الثاني: العَذْل على غير الحب.**

١- العَذْل على الحب:

إنَّ للمحبين والعُشاق أحوالا لا يعرفها إلا مَن شَغَفَه الحُبّ، وتيمه العشق، فتجد المحب –غالبا – يستلذ الصعاب، ويلج المخاطر في سبيل حبه، ويتحمل صدود حبيبه، وإنْ لامه أحد أو نصحه زاده ذلك إصرارا على مواصلة حُبّه، وقد أشار ابن حزم إلى شيء مِن ذلك في قوله: "ولقد رأيت مَن اشتد وجده وعظم كلفه حتى كان العَذْل أحب شيء إليه، ليُري العاذل عصيانه ويستلذ مخالفته، ويحصل مقاومته للائمه وغلبته إياه، كالملك الهازم لعدوه، والمجادل الماهر الغالب لخصمه، ويسر بما يقع مِنَّه في ذلك وربما كان هو المستجلب لعذل العاذل بأشياء يوردها توجب ابتداء العَذْل"[١] والمطالع لشعر البارودي يجده مستمسكا بمحبوبته، عارفا بقيمة الحب، وقد اتخذ موقفا صارما مِن العذَّال فنفسه تضيق بهم؛ لأنَّهم لا يكفون عن توجيه اللوم له، وهو يقابل ذلك اللوم بصبر العاشق الصادق، الَّذي لا يخضع لكلام العُذَّال؛ بل إنَّه يعلن صراحة رفض عذلهم، ويطالبهم بعدم الإسراع في لومه، أو تقليل لومهم، أو الكف عن لومه، ومِن ذلك قوله:[٢] (من البسيط)

(١) طوق الحمامة لابن حزم الظاهري ص ١٦٢.

(٢) ديوان البارودي ص ٣٣٩.

لَبَّيْكَ يَا دَاعِيَ الأَشْوَاقِ مِنْ دَاعِي ∴ أَسْمَعْتَ قَلْبِي وَإِنْ أَخْطَأْتَ أَسْمَاعِي
مُرْنِي بِمَا شِئْتَ أَبْلُغْ كُلَّ مَا وَصَلَتْ ∴ يَدِي إِلَيْهِ فَإِنِّي سَامِعٌ وَاعِي
فَلا وَرَبِّكَ مَا أُصْغِي إِلَى عَذَلٍ ∴ وَلا أُبِيحُ حِمَى قَلْبِي لِخَدَّاعِ
إِنِّي امْرُؤٌ لا يَرُدُّ العَذْل بَادِرَتِي ∴ وَلا تَفُلُّ شَبَاةُ الْخَطْبِ إِزْمَاعِي[1]

هذا مطلع قصيدة أنشدها البارودي وهو في المنفى في (سرنديب)، وقد زاده النفي عشقا لوطنه، وحبا له، ويستهل البارودي أبياته مخاطبا داعي الأشواق بقوله: (لبيك) وهو قول يدل على الغاية في سرعة الإجابة لدعوته، والإقامة على الطاعة، وأنَّ هذه الدعوة قد لامست قلبه، وكأنها دعوة خفية سرت بين أوصاله حتى استقرت في قلبه، فأصغى هذا القلب لتلك الدعوة ولكل أمر يصدر مِن هذا الداعي، وقوله: (فَإِنِّي سَامِعٌ وَاعِي) يدل على صدق إجابته لهذا الداعي ولذلك أكده بـ (إنَّ) كما أنه ليس بالسامع فقط بل إنَّه واعٍ لِما يسمع، مدرك له، وحالته هذه تدل على أنَّه لن يسمع لعذول فضلا عن أنْ يُصغي لكلامه، ولذلك تجده استخدم أسلوب النفي ثم أردفه بالقَسَم ليؤكد إخلاصه وصدقه لمحبوبته، ومهما بلغ العَذْل مِن قوة وسطوة فإنَّه لا يستطيع أنْ يؤثر في قوة عزيمته وإرادته، وقوله: (وَلا أُبِيحُ حِمَى قَلْبِي لِخَدَّاعِ) فيه ذم لهذا العذول فهو (خدَّاع)، فجاء بصيغة المبالغة ليدل على أنَّه بلغ الغاية في الخداع والمكر، وقوله: (حِمَى قَلْبِي) تصوير بديع فقد جعل للقلب حمى يقوم على حمايته وصونه من أنْ يُنتهك.

ويطالب البارودي العذولَ بعدم التعجل في لومه فيقول:[2] (من البسيط)

أَعِدْ عَلَى السَّمْعِ ذِكْرَ الْبَانِ وَالْعَلَمِ ∴ وَاعْذِرْ شَآبِيبَ دَمْعِي إِنْ جَرَتْ بِدَمِ

(١) إزماعي: من الزَّمَع وهو المَضاءُ فِي الأَمْر والعَزْمُ عَلَيْهِ. يُنظر لسان العرب لابن منظور ٨/ ١٤٣.

(٢) ديوان البارودي ص ٦١٦.

مَلاعِبٌ لِلصِّبَا أَقْوَتْ وَمَا بَرِحَتْ ∴ مَلاعِبَاً لِلأَسَى وَالأَعْيُنِ السُّجُمِ(١)
كَانَتْ لَنَا سَكَناً حَتَّى إِذَا قَوِيَتْ ∴ مِنَّا غَدَتْ سَكَنًا لِلرِّيحِ وَالدِّيَمِ(٢)
لَمْ أَتَّخِذْ بَعْدَهَا دَارًا أُقِيمُ بِهَا ∴ إِلَّا تَذَكَّرْتُ أَيَّامِي بِذِي سَلَمِ(٣)
وَكَيْفَ أَنْسَى دِيَارَاً قَدْ نَشَأْتُ بِهَا ∴ فِي مَنْبِتِ الْعِزِّ بَيْنَ الأَهْلِ وَالْحَشَمِ
يَا مَنْزِلًا لَمْ يَدَعْ وَشْكُ الْفِرَاقِ بِهِ ∴ إِلَّا رُسُومًا كَوَحْيِ الْخَطِّ بِالْقَلَمِ(٤)
أَيْنَ الَّذِينَ بِهِمْ كَانَتْ نَوَاظِرُنَا ∴ تَرْعَى الْمَحَاسِنَ مِنْ فَرْعٍ إِلَى قَدَمِ
وَدَّعْتُ شَطْرَ حَيَاتِي يَوْمَ فُرْقَتِهِمْ ∴ وَصَافَحَتْنِي يَدُ الأَحْزَانِ وَالْهَرَمِ
فَيَا أَخَا العَذْلِ لا تَعْجَلْ بِلائِمَةٍ ∴ عَلَيَّ فَالْحُبُّ مَعْدُودٌ مِنَ الْقِسَمِ
أَسْرَفْتَ فِي اللَّوْمِ حَتَّى لَوْ أَصَبْتَ بِهِ ∴ مَقَاطِعَ الْحَقِّ لَمْ تَسْلَمْ مِنَ التُّهَمِ
فَارْحَمْ شَبَابَ فَتَىً أَلْوَتْ بِنَضْرَتِهِ ∴ أَيْدِي الضَّنَى فَغَدَا لَحْمًا عَلَى وَضَمِ(٥)

---

(١) السّجم: سجم: من سَجَمَتِ الْعَيْنُ الدَّمْعَ وَهُوَ قَطَران الدَّمْعِ وسَيَلانه، قَلِيلًا كَانَ أَو كَثِيرًا. يُنظر لسان العرب لابن منظور ١٢/ ٢٨٠.

(٢) الديم: جمع الديمة وهي مَطَرٌ يَكُونُ مَعَ سُكُونٍ، وَقِيلَ: يَكُونُ خَمْسَةَ أَيَّامٍ أَو سِتَّةً وَقِيلَ: يَوْمًا وَلَيْلَةً أَو أَكثر يُنظر السابق ١٢/ ٢١٣.

(٣) بذي سَلَم: ذو سلم: واد ينحدر على الذنائب، والذنائب: في أرض بني البكّاء على طريق البصرة إلى مكّة، والسّلم في الأصل: شجر ورقه القرظ الذي يدبغ به، وبه سمي هذا الموضع، وقد أكثر الشعراء من ذكره. يُنظر معجم البلدان لياقوت الحموي ٣/ ٢٤٠.

(٤) وَشْكُ الْفِرَاقِ: سرعته من قولهم عَجِبْتُ مِنْ وَشْكِ ذَلِكَ الأَمر ووُشْكِ ذَلِكَ الأَمر، بِضَمِّ الْوَاوِ، وَمِنْ وَشْكانِ ذَلِكَ الأَمر ووُشْكانِ ذَلِكَ الأَمر أَي مِنْ سُرْعته. يُنظر لسان العرب لابن منظور ١٠/ ٥١٣.

(٥) الضَّنَى: المرضُ، وضَنِيَ الرجلُ، بِالْكَسْرِ، يَضْنَى ضَنىً شَدِيدًا إِذَا كَانَ به مرضٌ مُخامرٌ. يُنظر السابق ١٤/ ٤٨٦، الوَضَم: كلُّ شَيْءٍ يُوضَعُ عَلَيْهِ اللحمُ مِنْ خشبٍ أَوْ بارِيةٍ يُوقى بِهِ مِنَ الأَرض. يُنظر السابق ١٢/ ٦٤٠.

يستهل البارودي قصيدته بهذا المطلع الَّذي يحاكي فيه القدماء مرددا بعض معانيهم مِن وقوف على ديار الأحبة، وتذكر لملاعب الصبا، وكيف أنَّ هذه الديار كانت تعج بالأهل والأحباب حيث العزة والمنعة ثُم أقفرت بعد رحيلهم، وأصبحت سكنا للريح والمطر، ومع أنَّ هذه الديار أقفرت إلا إنها لا تزال موضع حب الشاعر واشتياقه، والشاعر لا يُحب الديار لذاتها فقط وإنما لوجود الأحبة فيها، ولأنَّه عاش فيها أجمل أيام صباه، ولذلك مهما تنقل الشاعر ونزل في منازل أخرى تجده يحن إلى دياره الأولى، بل إنَّ عشقه لهذه الديار الأولى جعله يضرب صفحا عن وصف الديار الأخرى التي ينزل بها، وفي ذلك إشارة إلى أنَّ الديار الأخرى افتقد فيها الأهل والأحباب، وفارقه الشعور بالعزة والأنفة، وكأنَّ حياة الشاعر قد انقسمت إلى شطرين: الأول شطر حسن، والآخر شطر سيء، وفي قوله: (ودعت شطر حياتي) محذوف فكأنه أراد أنْ يقول ودعت شطر حياتي الحسن الَّذي كنت أتمتع فيه برؤية الأهل والأحباب وبالفتوة والشباب والعزة والمنعة، ثم جاء الشطر الآخر لحياته وهو الشطر السيء حيث أُجبر على ترك وطنه وأحبابه وداهمه الكبر وصافحته يد الأحزان والمِحن، وبعد هذا العرض مِن البارودي لِما عايشه مِن غربة ووحشة يوجه كلامه للعذول ألا يتعجل في لومه، وهنا نتساءل على أي شيء يعذله هذا العذول؟! إنَّ حديث الشاعر يُشير إلى أنَّه ترك الديار وفارق الأهل والأحباب، فهل يعذله العذول على كثرة تذكره ما يُحب؟! أم أنَّ هناك محبوبة في حياة البارودي لم يتوقف عند ذكرها، وعلى كلا الوجهين فقد أسرف هذا العذول وأكثر في عذله حتى أصبح هو والعَذْل أخوين، مع ما تقتضيه الأخوة مِن المصاحبة والمؤازرة وكأن كل واحد منهما يعين الآخر على لوم الشاعر، ثم يقول الشاعر: (أسرفت في العَذْل....) والكلام على تقدير محذوف فكأنه أراد أنْ يقول له أسرفت في اللوم إسرافا، وقوله حتى فيه إشارة إلى طول زمان اللوم، وحتى لو كان هذا اللوم أصاب الحقيقة فإنَّ الشاعر لا يقبله، ولا يرضى به.

ويقول البارودي في موضع آخر مطالبا العذول بعدم التعجل في لومه:[١]

(من الطويل)

عَصَيْتُ نَذِيرَ الْحِلْمِ فِي طَاعَةِ الْجَهْلِ ∴ وَأَغْضَبْتُ فِي مَرْضَاةِ حُبِّ الْمَهَا عَقْلِي

وَنَازَعْتُ أَرْسَانَ الْبَطَالَةِ وَالصِّبَا ∴ إِلَى غَايَةٍ لَمْ يَأْتِهَا أَحَدٌ قَبْلِي[٢]

فَخُذْ فِي حَدِيثٍ غَيْرَ لَوْمِي فَإِنَّنِي ∴ بِحُبِّ الْغَوَانِي عَنْ مَلامِكَ فِي شُغْلِ

إِذَا كَانَ سَمْعُ الْمَرْءِ عُرْضَةَ أَلْسُنٍ ∴ فَمَا هُوَ إِلَّا لِلْخَدِيعَةِ وَالْخَتْلِ[٣]

رُوَيْدَكَ لا تَعْجَلْ بِلَوْمٍ عَلَى امْرِئٍ ∴ أَصَابَ هَوَى نَفْسٍ فَفِي الدَّهْرِ مَا يُسْلِي

فَلَيْسَتْ بِعَارٍ صَبْوَةُ الْمَرْءِ ذِي الْحِجَا ∴ إِذَا سَلِمَتْ أَخْلاقُهُ مِنْ أَذَى الْخَبْلِ

يستهل البارودي أبياته مصورا الصراع المحتدم بين حلمه وعقله مِن ناحية وبين نزقه وقلبه مِن ناحية أخرى، فبينما يدعوه عقله إلى البُعد عن مواطن اللهو، والنأي عن مزالق الحُب، يأبى عليه قلبه إلا الاستجابة لداعي الهوى، والخضوع لصولة الحب، فيُسلم إليه زمام نفسه، ويطلق لقلبه العنان فيصبح مخلصا لمحبوبته، وانظر إلى جمال التصوير حيث جعل من البطالة والصبا خيلا وهي خيل منقادة له، تسير حسب رغبته، وتبلِّغه غايته، وغايته تلك غاية متفردة لم يصل إليها أحد قبله، وكأنه بلغ الغاية في انقياده إلى مراتع البطالة والصبا وهو لا يجد في هذا الانقياد وذلك التسليم عيبا، وذلك يستدعي عدم وجود ما يشغله عنه، أو مَن ينغص عليه حبه، فإن وُجد من يقوم بذلك لا يأنس لكلامه، ولا ينقاد إلى نصحه بل يدعوه إلى تركه وشأنه والكف عن لومه، والتوقف عن عَذْله.

---

(١) ديوان البارودي ص ٤٣٦.

(٢) أرسان البطالة: الرَّسَنُ: الْحَبْلُ. والرَّسَنُ: مَا كَانَ مِنَ الأَزِمَّة عَلَى الأَنف، وَالْجَمْعُ أَرْسانٌ. يُنظر لسان العرب لابن منظور ١٣/ ١٨٠.

(٣) الخَتْل: تَخادُعٌ عَنْ غَفْلَةٍ. خَتَلَهُ يَخْتُلُهُ ويَخْتِلُهُ خَتْلًا وخَتَلاناً وخاتَلَهُ: خَدَعه عَنْ غَفْلة. يُنظر السابق ١١/ ١٩٩.

ويقول البارودي مطالبا عاذليه الإقلال مِن لومه:[1] (من الطويل)

أَقِلَّا مَلامِي فِي هَوَى الشَّادِنِ الأَحْوَى ∴ فَقَلْبِي عَلَى حَمْلِ الْمَلامَةِ لا يَقْوَى[2]

كَفَى بِالْهَوَى شُغْلًا عَنِ اللَّوْمِ بِامْرِئٍ ∴ بَرَاهُ الضَّنَى وَاسْتَمْطَرَتْ عَيْنَهُ الْبَلْوَى[3]

فَلَيْسَ الْهَوَى سَهْلًا فَأَلْوِي عِنَانَهُ ∴ وَإِنْ كُنْتُ يَوْمَ الرَّوْعِ ذَا مِرَّةٍ أَلْوَى

هُوَ الْحُبُّ يَعْتَامُ الْكِرَامَ وَلَنْ تَرَى ∴ لَئِيمًا يَنَالُ السَّبْقَ فِي الْفَضْلِ أَوْ يَهْوَى[4]

يستهل البارودي قصيدته طالبا مِن هذين العذولين أنْ يُقلا اللوم، وفي ذلك إشارة إلى أنَّ الشاعر قد يحتمل بعض اللوم ويقبله، ولكنه لا يحتمل الإكثار منه، وبذلك ينبغي أنْ يكون أصل الكلام في الشطر الثاني حتى يستقيم المعنى (فَقَلْبِي عَلَى حَمْلِ الْمَلامَةِ الكثيرة لا يَقْوَى) حيث حذف صفة الملامة، والهوى شيء متفرد معتز بنفسه لا يقبل أنْ ينازعه شيء آخر في قلب مِن يحلّ به، مهما أصاب هذا القلب وصاحبه مِن آلام وأوجاع، ومهما أطلق العذَّال مِن سهام لومهم، وفي قوله (براه الضنى) تصوير دقيق لِما أصاب الشاعر مِن ضعف وهزال، وفي هذا تأكيد على ما للحب مِن سطوة، وعِظم سلطان، فمَن يُبتلى بالحب والهوى يرضخ له، ولا يستطيع الفكاك مِن أوامره، أو الخروج عن قوانينه، والبارودي شاعر محب وفارس شجاع خبر الحروب وعاش ويلاتها ومع ذلك تجده يخضع لسلطان الهوى ويهابه بينما لا يهاب ويلات الحروب، ولا يرهبه الروع أو الفزع، وكما أنَّ الحروب تحتاج إلى فرسان شجعان، كرام النفوس،

---

(١) ديوان البارودي ص ٧١٠.

(٢) الشادِن: وَلَدُ الظَّبْيَةِ. يُنظر لسان العرب لابن منظور ١٣/ ٢٣٥، الأحوى: من الحُوَّة وهي حُمْرَةٌ تَضْرب إلى السَّواد. يُنظر السابق ١٤/ ٢٠٦.

(٣) الضَّنَى: المرضُ، وضَنِيَ الرجلُ، بِالْكَسْرِ، يَضْنَى ضَنىً شَدِيدًا إِذَا كَانَ به مرضٌ مُخامرٌ. يُنظر السابق ١٤/ ٤٨٦.

(٤) يَعْتَامُ: يختار. يُنظر السابق ١٢/ ٤٣٣.

لا إلى لئام جبناء ضعاف النفوس فكذلك الحب يختار مِن الناس أفضلهم وأكرمهم.

وفي موضع آخر يطالب البارودي العذولَ بترك اللوم فيقول:[١] (مِن الخفيف)

فَدَعِ اللَّوْمَ يَا عَذُولُ فَإِنِّي ∴ لَسْتُ أَبْغِي مِنَ الْعَوَاذِلِ رُشْدَا

لا تَخَلْنِي عَلَى غَرَاتِكَ سَهْلاً ∴ أَنَا أَدْرَى بِلَوْعَتِي مِنْكَ جِدَّا[٢]

لَسْتُ أَقْوَى عَلَى الصُّدُودِ وَإِنْ كُنْـ ∴ ـتُ عَلَى سَوْرَةِ الْحَوَادِثِ جَلْدَا

هذه الأبيات هي ختام لقصيدة طويلة تحدث فيها الشاعر عن محبوبته وصدودها عنه، وهجرها له، وما أصابه جراء هذا الهجر مِن آلام وأوجاع، ومع ذلك ظلَّ متمسكا بمحبوبته ينتظر منها وصالا وحبا، ولم يذكر الشاعر كثرة عذَّاله، ولا طول عَذْلهم له، بل إنَّه توجه مباشرة لهذا العذول وطالبه بالكف عن العَذْل، ولعله أعرض عن ذكر العذول وعذله، وجاء بالفاء في قوله (فدع) ليشير إلى أنَّ هناك كلاما كتمه في نفسه، وأشار إليه بهذه الفاء، وكأنَّه يُريد أنْ يقول إنَّ هذا العذول قد أكثر مِن عذله، فاجتمع على الشاعر صدود المحبوبة وعَذل العذول، ثم إنَّك تجده آثر الفعل (دع) دون غيره مِن الأفعال الدالة على الترك؛ لأنَّه يحمل معنى السرعة على ترك العَذْل، والشاعر أدرى بدواخل نفسه مِن هؤلاء العذَّال، ولا يرجو منهم خيرا أو نفعا، وهو وإنْ كان يقوى على حوادث الدهر ونوازله إلا إنّه لا يقوى على صدود محبوبته وهجرها.

(١) ديوان البارودي ص ١٨٠.

(٢) غَرَاتِكَ: إفسادك وأَغْرَى بَيْنَهُمُ العَداوة: أَلْقاها كأَنه أَلْزَقَها بهمْ. يُنظر لسان العرب لابن منظور ١٥/ ١٢١.

ويُظهر البارودي صبره على كلام العذول، ويطالب محبوبته بعدم تصديق العَذْل فيه فيقول:[1] (مِن البسيط)

خَلَعْتُ فِي حُبِّ غِزْلانِ الْحِمَى رَسَنِي ∴ وَبِعْتُ بِالسُّهْدِ فِي لَيْلِ الْهَوَى وَسَنِي

وَأَعْجَبَتْنِي عَلَى ذَمِّ الْعَذُولِ لَهَا ∴ صَبَابَةٌ نَقَلَتْ سِرِّي إِلَى الْعَلَنِ

فَلْيَبْلُغِ العَذْل مِنِّي مَا أَرَادَ فَقَدْ ∴ أَسْلَمْتُ لِلشَّوْقِ رُوحِي وَالضَّنَى بَدَنِي[2]

تِلْكَ الْحَمَائِمُ لَوْ تَدْرِي بِمَا لَقِيَتْ ∴ أَهْلُ الْمَحَبَّةِ لَمْ تَسْجَعْ عَلَى فَنَنِ[3]

يَا رَبَّةَ الْخِدْرِ قُومِي فَانْظُرِي عَجَباً ∴ إِلَى غَرَائِبَ لَمْ تُقْدَرْ وَلَمْ تَكُنِ

هَذِي يَدِي جَسَّهَا الآسِي وَخَامَرَهُ ∴ يَأْسٌ فَغَادَرَهَا صَرْعَى مِنَ الْوَهَنِ[4]

وَقَالَ لا تَكْتُمَنْ أَمْرَاً عَلَيَّ فَقَدْ ∴ عَلِمْتُ مَا بِكَ مِنْ بَادٍ وَمُكْتَمِنِ

فَلَمْ أُجِبْ غَيْرَ أَنَّ الدَّمْعَ نَمَّ عَلَى ∴ وَجْدِي وَدَلَّتْهُ أَنْفَاسِي عَلَى شَجَنِي

عَطْفاً عَلَيَّ فَلَمْ أَطْلُبْ إِلَيْكَ سِوَى ∴ أَنْ أُمْتِعَ الْعَيْنَ مِنْ تِمْثَالِكِ الْحَسَنِ

مَا لِلْعَذُولِ رَأَى وَجْدِي فَأَحْفَظَهُ ∴ حَتَّى أَتَاكُمْ بِقَوْلٍ مِنْ هَنٍ وَهَنِ[5]

لا تَقْبَلِي العَذْل فِي مِثْلِي فَكُلُّ فَتَىً ∴ حُرِّ الشَّمَائِلِ مَحْسُودٌ عَلَى الْفِطَنِ

يستهل البارودي قصيدته بهذا البيت الَّذي رسم فيه صورة لمرحلة صباه، حيث أطلق العنان لنفسه لترتع في مراتع الحب والعشق، ولعل الشاعر كان

---

(١) ديوان البارودي ص ٦٥٧.

(٢) الضَّنَى: المرضُ، وضَنِيَ الرجلُ، بِالْكَسْرِ، يَضْنَى ضَنىً شَدِيدًا إِذَا كَانَ به مرضٌ مُخامرٌ. يُنظر لسان العرب لابن منظور ١٤/ ٤٨٦.

(٣) الفَنَن: الغُصْنُ. يُنظر السابق ١٣/ ٣٢٧.

(٤) جسّها: الجَسُّ: اللَّمْسُ بِالْيَدِ. يُنظر السابق ٦/ ٣٨، الآسِي: المُعالِجُ. يُنظر السابق ١٤/ ٣٤.

(٥) الهَنُ والهَنُّ، بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ: كِنَايَةٌ عَنِ الشَّيْءِ لَا تَذْكُرُهُ بِاسْمِهِ. يُنظر السابق ١٥/ ٣٦٩.

مترددا في ولوج هذا الدرب؛ لذلك تجده عبَّر بقوله: (خلعت) ولم يُعبر بقوله: (نزعت) لما في الخلع من تمهل وتأنٍ، والبيت مبني على الكناية فقوله: (خلعت رسني) كناية عن تركه الحياء والخجل، وقوله: (نساء الحمى) كناية عن النساء المحفوظات المحميات، وفي هذا دلالة على أنَّ الشاعر لم ينزلق إلى مزالق الطيش والفجور فلم يطلب نسوة غير محتشمات، وطبعي أنَّ مَن يُطلق لقلبه العنان لِيُحِبَّ ويعشق أنْ يَظهر أمرُ عشقه، وينكشف سر قلبه، وطبعي أيضا أنْ يُعاني جراء هذا الحب فتفارقه طمأنينة النوم وسكينته خاصة إنْ كان هناك ما يُنغص على المحبوب حبَّه مِن صدود حبيب، أو عذل عذول، ولكنَّ المُحب الصادق في حبه يظل متمسكا بحبه، محافظا عليه مهما حاول العذول أنْ يُفسد هذا الحب، إنَّ ما يلاقيه المحبون مِن آلام في طريق حبهم، وما يعانونه مِن منغصات لا يقوى على الصبر عليها إلا مَن كان على شاكلتهم، ولو أنَّ الحمائم علمت بما يعانونه لتوقفت عن شجوها، ثم يتوجه الشاعر لمحبوبته طالبا منها أنْ تنظر إليه نظرة المحب لحبيبه، وأنْ ترفق به، فقد أصابه ما أصابه مِن ضعف وهزال حتى يأس منه الطبيب، وقوله: (ربة الخدر) دليل على أنَّ هذه المرأة كريمة مصونة، وهذا يؤيد ما فُهم مِن قوله: (نساء الحمى)، وفي قوله: (هذه يدي) حيث عبَّر الشاعر باليد وهي جزء مِن الجسد وأراد الجسد كله، ولعل ذلك لأنَّ اليد هي رمز القوة، وآية القدرة فإنْ كان الهزال قد وصل إليها فمِن باب أولى أنْ يكون قد ألمَّ بالجسد كله، وطبيب الشاعر حاذق ماهر لأنَّه فطن إلى أنَّ مرض الشاعر ليس بسبب آفة جسدية، وإنَّما بسبب علة نفسية، وقد أحسن الشاعر في تصوير علته ومرضه وجعل ذلك سببا في أنْ يطلب مِن محبوبته أنْ تمُنَّ عليه برؤيتها، وكأن شفاءه في أنْ يُمتع ناظريه منها، ثم يطلب مِن محبوبته ألا تُلقي بالًا إلى كلام العذول؛ لأنَّ كل كلامه كذب وبهتان، ثُم يُظهر البارودي اعتزازه بنفسه فهو كريم الأخلاق شريف الطباع ذو فطنة ودهاء، ونلحظ هنا أنَّ الشاعر لم يوجّه كلامه للعذول بألا يتعجل في لومه أو أنْ يكف عنه، بل إنَّه

سلك طريقا مغايرا فوجَّه كلامه لمحبوبته بألا تسمع كلام ذلك العذول، ولعل البارودي أهمل مخاطبة العذول تحقيرا وإهمالا له، أو لأنَّه أيس مِن مطالبة العذول بالكف عن عذله، فأغفله وتوجه لمحبوبته.

تبين لنا مما سبق أنَّ البارودي في حديثه عن (العَذْل على الحب) لا يسير على نمط واحد بل إنَّه يغاير في ذلك فتارة تجده لا يُصغي إلى كلام العذول ولا يلقي له بالا، وتارة تجده يدعو العذول بعدم التعجل في لومه، وتارة يطلب مِن العذول الإقلال مِن عذله، وتارة يطالب العذول بالكفّ عن عذله، وتارة تجده يتجاوز ذلك كله فيوجه كلامه لمحبوبته مطالبا إياها بعدم تصديق كلام العذول، ومحاولات البارودي المتعددة وأنماطه المتنوعة في خطاب العذول يُشيران إلى أمرين مهمين الأول: شدة إخلاص البارودي لحبه، فهو لا يقبل كلاما لعذول حتى وإنْ اقترن معه صدود المحبوبة، الآخر: أنَّ العَذْل قد شغل حيزا كبيرا في ذهن البارودي فانعكس ذلك جليا في شعره.

٢- العَذْل على غير الحب:

هذا هو النمط الثاني مِن أنماط العَذْل في شعر البارودي، وهو العَذْل على غير الحب، وقد تعددت أنماط العَذْل على غير الحب في شعر البارودي كالعَذْل على الحزن، والصبر، والمروءة، والجُود، والسفر، فمِن العَذْل على الحزن قوله:[١] (من الطويل)

بكَيْتُ عَلِيًّا إِذْ مَضَى لِسَبِيلِهِ ∴ بِعَيْنٍ تكادُ الرُّوحُ فِي دَمْعِهَا تَجْرِي

وَإِنِّي لأَدْرِي أَنَّ حُزْنِي لا يَفِي ∴ بِرُزْئِي وَلَكِنْ لا سَبِيلَ إِلَى الصَّبْرِ

وَكَيْفَ أَذُودُ الْقَلْبَ عَنْ حَسَرَاتِهِ ∴ وَأَهْوَنُ مَا أَلْقَاهُ يَصْدَعُ فِي الصَّخْرِ

يَلُومُونَنِي إِنِّي تَجَاوَزْتُ فِي الْبُكَا ∴ وَهَلْ لِامْرِئٍ لَمْ يَبْكِ فِي الحُزْنِ مِنْ عُذرِ

(١) ديوان البارودي ص ٢٤٨.

وَمَا كُنْتُ لَوْلا قِسْمَةُ اللَّهِ فِي الْوَرَى ∴ لأَصْبِرَ لَكِنَّا إِلَى غَايَةٍ نَسْرِي
لَقد خَفَّفَ الْبَلْوَى وَإِنْ هِيَ أَشْرَفَتْ ∴ عَلَى النَّفْسِ ما أَرْجُوهُ مِنْ مَوْعِدِ الْحَشْرِ

إنَّ مِن أشد المصائب، وأعظم البلايا أنْ يرزأ المرء بفقد ابن مِن أبنائه، والبارودي في الأبيات السابقة يصور حاله بعدما مات ولده (علي)، فهو يتجرع غصص الحياة مريرة، وقلبه يتفطر حزنا، ودمعه لا يتوقف؛ ولعله يجد في بكائه تخفيفا لحزنه، وتنفيسا عن كربه، ومع أنَّ عاطفة البارودي تضطرم بين جوانحه أسى وحرقة إلا أنَّه يحاول أنْ يُصَبِّر نفسه بأنَّ هذا هو قدر الله، وأنَّ الجميع صائرون إلى ما صار إليه ولده، وأنَّ الملتقى في الآخرة، وقد أشار البارودي إلى دور العُذَّال الذين هالهم حال البارودي فأقبلوا عليه لائمين، مطالبين إياه بأنْ يكف عن بكائه، وأنْ يتوقف عن حزنه وتحسره، ونلحظ أنَّ البارودي لا يُهاجم هؤلاء العُذَّال، ولا يُطالبهم بالكف عن لومهم، بل ربما برر لومهم إياه، نجد ذلك في قوله: (إِنِّي تَجَاوَزْتُ فِي الْبُكَا) خاصة وفي جو الأبيات عامة، فهو يرى أنَّه قد تجاوز في إظهار حزنه حتى وإنْ كان هذا الحزن لا يُكافئ مصيبته، ولا يوافي بلواه، وهناك ملحظ آخر في هذه الأبيات وهو خلوها مِن ذكر أوصاف الميت وشمائله، ربما لأنَّ ابنه مات صغيرا، أو لأنَّ الشاعر يرثي ابنه لأنه ابنه لا لأجل خصاله أو شمائله، فتجده يركز على وصف ألمه الداخلي الَّذي يشعر به، دون التطرق إلى ذكر صفاته وخصاله.

ومِن العَذْل على المروءة قول البارودي هاجيا عثمان رفقي[1]، ومُنكرا على الذين يلومونه على تمسكه بمبادئه:[2] (من الخفيف)

كُـلُّ صَـعْبٍ سِـوَى الْمَذَلَّـةِ سَـهْلُ ∴ وَحَيَـاةُ الْكَـرِيمِ فِـي الضَّـيْمِ قَتْـلُ

لَيْسَ يَقْوَى امْرُؤٌ عَلَى الذُّلِّ مَا لَمْ ∴ يَـكُ فِيـهِ مِـنْ صِـبْغَةِ اللُّـؤْمِ دَخْـلُ

إِنَّ مُـــرَّ الْحِمَـــامِ أَعْـــذَبُ وِرْدَاً ∴ مِـــنْ حَيَـــاةٍ فِيهَـــا شَـــقَاءٌ وَذُلُّ

أَنَـــا رَاضٍ بِتَـــرْكِ مَـــالِي وَأَهْلِـــي ∴ فَالْعَفَـــافُ الثَّـــرَاءُ وَالنَّـــاسُ أَهْـــلُ

لا يَلُمْنِـــي عَلَـــى الْحَفِيظَـــةِ قَـــوْمٌ ∴ غَـــرَّهُمْ مَنْظَـــرُ الْحَيَـــاةِ فَضَـــلُّوا

أَلِفُوا الضَّيْمَ خَشْيَةَ الْمَوْتِ وَالضَّيْـ ∴ ـــمُ لَعَمْـرِي فَجْـعٌ خَسِـيسٌ وَثُكْـلُ

كَيْـفَ لا أَنْصُـرُ الرَّشَـادَ عَلَـى الْغَيْـ ∴ ـــيِ وَعَقْلِي مَعِي وَفِي النَّفْسِ فَضْلُ

إِنَّمَـــا الْمَـــرْءُ بِاللِّسَـــانِ وَبِالْقَلْـــ ∴ ـبِ فَـإِنْ خَـابَ مِنْهُمَـا فَهُـوَ فَسْـلُ

أنشد البارودي هذه الأبيات هاجيا عثمان رفقي ذلك الضابط الجركسي الّذي كان متعصبا لبني جنسه مِن الجراكسة، ومتربصا بالضباط المصريين الوطنيين، ويُنكر البارودي في هذه الأبيات أيضا على الذين يلومونه على تمسكه بمبادئه، وحفظه كرامته؛ وهو بذلك يرسم صورتين: الأولى يقصد بها نفسه: وهي صورة الإنسان الأبِي الحر الَّذي لا يقبل الضيم، ولا يرضى بالحيف، ولا يستكين إلى الظلم ولو كلفه ذلك حياته، وهو في سبيل الحفاظ على كرامته وحريته مستعد للتضحية بأغلى ما يملك مِن أهل ومال، بل إنَّه يستسيغ الموت في سبيل الحفاظ

(١) هو عثمان رفقي الجركسي فريق في الجيش المصري ولد في القوقاز، وعمل بمدرسة المشاة العسكرية بالإسكندرية، ثم رقي في المناصب حتى بلغ رتبة فريق. يُنظر معجم المؤلفين للأستاذ عمر رضا كحالة ٦/ ٢٥٣، ٢٥٤ – مطبعة مكتبة المثنى – بيروت – ودار إحياء التراث العربي بيروت.

(٢) ديوان البارودي ص ٤٩٧.

على كرامته، وتجرع الموت أهون عليه مِن حياة يشوبها الذل، وتكسوها المهانة، أمَّا الصورة الأخرى: فهي لذلك الذليل الدنيء الَّذي يرضى بالمذلة، ويقنع بالهوان في سبيل الحفاظ على حياته، وهو لا يكتفي بذلك بل يطلق العنان للسانه محاولا النيل مِن هذا الحر الكريم، وقد استطاع البارودي أنْ يحشد أدواته في رسم هاتين الصورتين المتضادتين: صورة هذا الأبِّي الكريم الَّذي يرى حياة الكريم في الضيم قتلا؛ لأنَّها تقتل معاني العزة والكرامة، وكلمة الحفيظة في قوله: (لا يَلُمْنِي عَلَى الْحَفِيظَةِ قَوْمٌ) كلمة دقيقة جامعة لمعاني المروءة والنخوة فهي تعني المُحافظة عَلَى العَهْد والتمسُّك بِالْوُدِّ، والغضَب لحُرمة تُنْتَهكُ مِنْ حُرُماتك أَو جارٍ ذِي قَرابةٍ يُظلَم مِنْ ذَوِيك أَو عَهْد يُنْكَث[1]، وكلمة (يقوى) في قوله: (لَيْسَ يَقْوَى امْرُؤٌ عَلَى الذُّلِّ...) تدل على أنَّ تحمل الذل شيء ثقيل على الحر الكريم، يحتاج إلى قوة لتحمله، أما بالنسبة لذلك الدنيء اللئيم فهو أمر يسير؛ لذا تجده يستخدم جملة (ألفوا) في قوله: (أَلِفُوا الضَّيْمَ خَشْيَةَ الْمَوْتِ...) ليدل على أنَّ هؤلاء الذين يلومونه قد لزموا المذلة وأنسوا بها، فالمذلة بالنسبة إليهم ليست شيئا عارضا، وإنما هي شيء مألوف لهم، بل هي شيء محبب لهم، وهم لا يجدون في ذلك حرجا، بل لا يكتفون بذلك وإنما يريدون من الجميع أنْ يكونوا على شاكلتهم، وهذا هو دأب الخانعين في كل عصر ومكان.

ومن العَذْل على الحكمة قوله:[2] (من الطويل)

سُكُوتِي إِذَا دَامَ الْحَدِيثُ كَلامُ ∴ وَتَقْلِيبُ عَيْنِي فِي الْوُجُوهِ مَلامُ

وَصَبْرِي عَلَى الأَيَّامِ لا مِنْ مَذَلَّةٍ ∴ وَلَكِنْ يَدٌ مَغْلُولَةٌ وَحُسَامُ

أُلامُ عَلَى أَنِّي صَبَرْتُ وَهَلْ فَتَىً ∴ عَلَى الصَّبْرِ إِنْ قَلَّ الْمُعِينُ يُلامُ

(١) يُنظر لسان العرب لابن منظور ٧/ ٤٤٢ بتصرف.

(٢) ديوان البارودي ص ٥٩٨.

إنَّ الحكمة تقتضي أنْ يتحكم الفرد في تصرفاته وأفعاله، والبارودي شاعر كبير وفارس عظيم، أكسبته حياة الفروسية، والحروب التي خاضها خبرة كبيرة، فهو يتعامل مع الأحداث بميزان دقيق، يُقْدِم حين يرى في الإقدام خيرا، ويُحْجِم حين يرى في الإحجام خيرا، وهو لا يفعل ذلك عن ضعف ولا مذلة، وإنما عن حكمة ودراية؛ لأنَّه إنسان حكيم يُعمل عقله فيما يجري حوله مِن أمور، ولا يُطلق العنان لغضبه وحنقه، وهو يرى الأمور بمنظور مختلف عن ذلك الأهوج الَّذي ينجر وراء غضبه، وهذه الحكمة التي جعلها البارودي منهاج حياته قد لا تُعجب كثيرا ممن يسوقهم غضبهم إلى مواطن الردى، ويوقعهم تهورهم في براثن الموت، فتجدهم يطلقون ألسنتهم يلومون الشاعر، ويتهمونه بالعجز والهوان، وهو لا يُلقي بالا للومهم، ولا يتراجع عن منهجه في التعامل مع الأحداث.

ومِن العَذْل على الجود قوله:[1] (من البسيط)

لا تَعْذِلَنِّي عَلَى وَفْرٍ سَمَحْتُ بِهِ ∴ لِلْمُعْتَفِينَ فَإِنِّي مَاجِدُ الشِّيَمِ[2]

إِنْ لَمْ يَكُنْ لِلْفَتَى جُودٌ يَسُدُّ بِهِ ∴ مَفَاقِرَ الصَّحْبِ فَالْمَثْرَاةُ كَالْعَدَمِ

فَإِنْ يَكُنْ قَلَّ مَالِي بَعْدَ وَفْرَتِهِ ∴ فَإِنَّ مَالِيَ لا يَقْوَى عَلَى كَرَمِي

إنَّ مَن تربى على أخلاق الفروسية كالبارودي، ونشأ على البذل والعطاء، لا يستطيع أنْ ينهر سائلا، أو يرد محتاجا، أو يمنع معوزا، ولا يثنيه عن ذلك عذل العاذلين، ولا تأنيب اللائمين، ولا تغيّر حاله مِن اليسر إلى العسر، بل يظل الكريم مفضالا، والجواد سخيا، يعرف ذلك كل مَن تعرف نفسه البذل، وتسخو بالمال، ولا فائدة للمال إذا لم يكن دافعا لحاجات الفقراء خاصة إذا كان هؤلاء

(١) ديوان البارودي ص ٥٩٩.

(٢) المعتفين: جمع مُعْتَف وَهُوَ كلُّ مَنْ جاءَك يطلُب فَضْلًا أَو رِزْقًا. يُنظر لسان العرب لابن منظور ١٥/ ٧٤.

الفقراء مِن الأصحاب والمقربين، ولعلك تلحظ في قوله: (فَإِنِّي مَاجِدُ الشِّيَمِ) إشارة إلى ذلك العذول، وتعريض به، وذم له، وكأنَّ البارودي يقول له أنا نبيل الطباع، كريم الأخلاق، أما أنت أيها العذول فبمنأى عن هذه الأخلاق الكريمة، والخصال النبيلة، كما تلحظ في قوله: (فَإِنَّ مَالِيَ لا يَقْوَى عَلَى كَرَمِي) تأكيد على كرمه غير المحدود، فمهما كثر ماله فإنّه لا يستطيع أنْ يوافي عطاءه وكرمه.

ومِن العَذْل على السفر وترك الأهل والأحباب قوله:[1] (من الطويل)

أَلائِمَتِي كُفِّي الْمَلامَ عَنِ الَّذِي ∴ أُحَاوِلُهُ مِنْ رِحْلَةٍ وَسِفَارِ

فَلَوْلا سُرَى الْبَدْرِ الْمُنِيرِ لَعَاقَهُ ∴ عَنِ التَّمِّ لُبْثٌ فِي مَغِيبِ سِرَارِ

يخاطب البارودي في البيتين السابقين زوجته أو محبوبته داعيا إياها إلى التوقف عن لومه، وأنْ تتركه يشرع في رحلته وسفره؛ حتى يذيع صيته، وتطير شهرته، ثم يضرب لها مثالا بالقمر الَّذي يكتسب تمامه مِنْ حركته ودورانه، وانتقاله بين منازله، ولو أنَّه ظل في مكان واحد لمَا بلغ مرحلة التمام، ويظهر مِن البيتين السابقين أنَّ الدافع إلى اللوم هو إشفاق هذه المرأة على البارودي وخوفها عليه، ومما يعضد ذلك أنَّه لم يذكرها بسوء، واستخدم أداة النداء للقريب (الهمزة) وفي هذا دليل على قربها منه، ومكانتها عنده.

(١) ديوان البارودي ص ٢٧٩.

المبحث الثالث

العذل والتشكيل الفني للقصيدة

تحدثت في المبحثين السابقين عن بواعث العَذْل وأنماطه في شعر البارودي، وسأتحدث في هذا المبحث عن العَذْل والتشكيل الفني للقصيدة وسيكون الحديث مِن خلال محورين:

١- المحور الأول: العَذْل وبنية القصيدة.

٢- المحور الثاني: العَذْل والمعجم الشعري.

المحور الأول: العذل وبنية القصيدة:

بعد هذه الوقفة المتأنية مع العَذْل في شعر البارودي تبين أنَّ العَذْل جاء أغلبه في مقدمات القصائد، كما جاء أيضا في المقطوعات والنتف وقد مرَّ بنا ذلك في المبحثين السابقين، مما يدل على أنَّه لم يأتِ عرَضًا بل شغل حيزًا ملموسًا في شعره، فمن مجيئه في مقدمات القصائد قوله:[١] (من الكامل)

لِهَوَى الْكَوَاعِبِ ذِمَّةٌ لا تُخْفَرُ ∴ وَأَخُو الْوَفَاءِ بِعَهْدِهِ لا يَغْدِرُ[٢]

فَعَلامَ يَنْهَانِي الْعَذُولُ عَنِ الصِّبَا؟ ∴ أَوَلَيْسَ أَنَّ هَوَى النُّفُوسِ مُقَدَّرُ؟

قَدْ كَانَ لِي فِي بَعْضِ مَا صَنَعَ الْهَوَى ∴ عُذْرٌ وَلَكِنْ أَيْنَ مَنْ يَتَبَصَّرُ؟

وَمِنَ الْبَلِيَّةِ غَافِلٌ عَمَّا جَنَتْ ∴ يَدُهُ عَلَيَّ وَلائِمٌ لا يَعْذِرُ

لَمْ يَدْرِ مَنْ كَحَلَ الْكَرَى أَجْفَانَهُ ∴ مَاذَا يُكَابِدُ فِي الْهَوَى مَنْ يَسْهَرُ

يستهل البارودي قصيدته مبينًا أنَّ للهوى ميثاقًا يجب أنْ يُحفظ، وعهدًا ينبغي ألا يُنقض، يعرف ذلك أهل الوفاء والمروءة، وقوله: (لهوى الكواعب) فيه

---

(١) ديوان البارودي ص ٢٣٠.

(٢) الكواعب: جمع كاعب، وكَعَبَتِ الجاريةُ إذا نَهَدَ ثَدْيُها. يُنظر لسان العرب لابن منظور ١/ ٧١٩، لا تُخفر: أي لا يُنقض عهدها. يُنظر السابق ٤/ ٢٥٣.

إشارة إلى أنَّ هوى الكواعب وحبهنّ أعلى قيمة مِن هوى غيرهنّ؛ لأنَّ الرغبة في المرأة في هذه المرحلة العمرية تكون أشد، وذلك يستدعي أنْ يكون الإخلاص لحبها أعظم، وفي قوله: (أَخُو الْوَفَاءِ) إشارة إلى أنَّ مَن يصون العهد هم أناس معروفون، ولذلك جعلهم إخوة للوفاء فالوفاء ملازم لهم وكأنهم والوفاء وُلدوا مِن رحم واحدة، ووراء هذه العبارة إشارة إلى أنَّ هناك مَن لا يصون العهد، ولا يحفظ المواثيق، وأهل الحُب معذورون في هيامهم عند مَن ذاق حلاوة الحب والهوى، أمَّا أولئك الذين لم يكن لهم نصيب مِن الحب والهوى فلا يُبصرون هذه الأمور، يُشاركهم في انعدام بصيرتهم مَن يبخل بوصال محبوبه، ويغفل عما يعانيه.

ومن مجيء العَذْل في المقطوعات قول البارودي:[١] (من السريع)

يَـا وَيْـحَ نَفْسِـي مِـنْ هَـوَى شَـادِنٍ ∴ غَـازَلَ قَلْبِـي لَحْظُـهُ فَانْهَتَـكْ[٢]

ذِي نَظْـرَةٍ كَالسِّـحْرِ لَـوْ صَـادَفَتْ ∴ غَمْزَتُهَـا لَيْـثَ وَغـىً مَـا فَتَـكْ

فَكَيْـفَ أَحْمِـي مُهْجَتِـي بَعْـدَمَا ∴ خَامَرَهَـا الْوَجْـدُ فَطَـارَتْ بِتَـكْ[٣]

فَـلا يَلُمْنِـي غَافِـلٌ فَـالْهَوَى ∴ سَـيْفٌ إِذَا مَـرَّ بِشَـيءٍ بَتَـكْ

مَـاذَا عَلَـى مَـنْ بَخِلَـتْ نَفْسُـهُ ∴ بِالْوَصْلِ لَوْ قَبَّلْتُ طَرْفَ الأَتَكْ[٤]

---

(١) ديوان البارودي ص ٣٩٣.

(٢) الشادِن: وَلَدُ الظَّبْيَةِ. يُنظر لسان العرب لابن منظور ١٣/ ٢٣٥،

(٣) والبِتْكةُ والبَتْكة: الْقِطْعَةُ، وَالْجَمْعُ بِتَكٌ، وبتكُ الشيء قَطْعُه مِنْ أَصْلِهِ. يُنظر السابق ١٠/ ٣٩٥.

(٤) الإتْك: لفظة معربة، وهي في العثمانية: اتك، وفي التركية الحديثة Etek: وتعنى: ذيل الثوب، ويستعمل هذه الكلمة بكثرة خياطو ملابس السيدات، فيقال: إتك الفستان واسع أو ضيق أو عريض. يُنظر المعجم العربي لأسماء الملابس إعداد: د. رجب عبد الجواد إبراهيم ص ٢٨ مطبعة دار الآفاق العربية– القاهرة – جمهورية مصر العربية –الطبعة الأولى– عام ١٤٢٣هـ /٢٠٠٢م. ولفظ البارودي جاء بفتح الهمزة، وربما كان ذلك من عمل المحقق.

يصف البارودي في أبياته السابقة محبوبته، وهي فتاة قد بلغت مِن الجمال والأنوثة مبلغًا عظيمًا، ومثل هذه المحبوبة حري أنْ تسهل في سبيل حبها الصعاب، وأن يُحتمل في سبيل وصالها الملام، ويصف البارودي مَن يلومه ويعَذْله على حُبه بأنَّه غافل جهل قدر الهوى، وقيمة الحب وسطوته، ولو علم ذلك ما لامه، ثم يعود البارودي إلى الحديث عن هجر محبوبته وصدودها منكرا ذلك عليها، ويرى أنْ فعلها هذا مِن البخل، وهو الّذي يرضى مِن وصالها بالقليل، ولو قبَّل طرف ثيابها، وتقبيل طرف الثياب كانت عادة في هذا الزمان وسابقه فكان الرعايا يقبلون طرف ثوب السلطان أو الأمير، وربما ذلك إشارة مِن البارودي إلى أنَّ محبوبته مِن الأميرات التي يصعب الوصول إليهنّ.

ومِن مجيء العَذْل في النتف قول البارودي:[1] (من البسيط)

رَبَّ الْفُتُـوَّةِ لا تَسْـبِقْ إِلَـى عَـذْلٍ ∴ يَبِيـتُ مِـنْ مَسِّـهِ قَلْبِـي عَلَـى مَضَـضِ

فَـإِنْ تَكُـنْ هَفْـوَةٌ أَوْ زَلَّـةٌ عَرَضَـتْ ∴ فَالسَّـهْمُ يَصْـدِفُ أَحْيَانًـا عَـنِ الْغَـرَضِ

يُخاطب البارودي هذا الرجل الكريم السخي بأنْ يتريث ولا يتعجل في لومه، وقوله: (رَبَّ الْفُتُوَّةِ) فيه إشارة إلى أنَّ هذا الرجل قد بلغ الغاية في السخاء والكرم وخصال الخير فهو ليس بالفتى العادي وإنَّما هو ربٌ للفتوة، وكأنّه بلغ الغاية منها فلا يُنازعه أحد في هذه الفتوة؛ ولذلك فالبارودي لا يستطيع أنْ يحتمل منه هذا اللوم، وفي هذا –أيضا– إشارة إلى منزلة هذا الكريم ومكانته في قلب البارودي، فهو لا يحتمل لومه، ثم يحاول البارودي أنْ يُرقق قلب هذا الرجل بأنَّه لو كانت هناك هفوة قد صدرت منه فإنَّ ذلك لم يكن عن قصد، وإنما من قبيل الخطأ كما يخطئ سهم الرامي هدفه أحيانًا، والشاعر استخدم (إنْ) ولم يستخدم (إذا) لأنَّ (إنْ) تفيد الشك في وقوع الفعل وكأنَّه يريد أنْ ينفي عن نفسه وقوع هفوة منه.

(١) ديوان البارودي ص ٣٠٤.

المحور الثاني العذل والمعجم اللغوي:

اللغة هي المادة الأساسية التي يتكون منها النص الشعري، وهي إحدى الأسس المهمة التي يُفاضل بها بين الشعراء، وكلما امتلك الشاعر مخزونا لغويا كبيرا استطاع التعبير عن مكنون نفسه بدقة وصدق، ولست هنا بصدد الحديث عن لغة البارودي الشعرية مِن حيث دقة ألفاظها، وحسن نظمها، وإنّما سأتحدث عن المواد اللغوية وتصريفاتها الدَّالة على العَذْل، وعن العذول من حيث نوعه من التذكير والتأنيث والإفراد والتثنية والجمع، وقد استخدم البارودي في تعبيراته عن العَذْل ثلاث مواد لغوية وتصريفاتها، الأولى مادة (ع ذ ل)، الثانية: مادة (ل و م)، الثالثة: مادة (ل ح ا)، وقد أكثر الشاعر من استخدام المادة الأولى والثانية وتصريفاتهما، ولم يستخدم المادة الثالثة إلا مرة واحدة، ومن استخدامه مادة (ع ذ ل) قوله:[١] (مِن البسيط)

خَلَعْتُ فِي حُبِّ غِزْلانِ الْحِمَى رَسَنِي ∴ وَبِعْتُ بِالسُّهْدِ فِي لَيْلِ الْهَوَى وَسَنِي[٢]

وَأَعْجَبَتْنِي عَلَى ذَمِّ الْعَذُولِ لَهَا ∴ صَبَابَةٌ نَقَلَتْ سِرِّي إِلَى الْعَلَنِ

فَلْيَبْلُغِ العَذْلُ مِنِّي مَا أَرَادَ فَقَدْ ∴ أَسْلَمْتُ لِلشَّوْقِ رُوحِي وَالضَّنَى بَدَنِي[٣]

تِلْكَ الْحَمَائِمُ لَوْ تَدْرِي بِمَا لَقِيَتْ ∴ أَهْلُ الْمَحَبَّةِ لَمْ تَسْجَعْ عَلَى فَنَنِ[٤]

يَا رَبَّةَ الْخِدْرِ قُومِي فَانْظُرِي عَجَباً ∴ إِلَى غَرَائِبَ لَمْ تُقْدَرْ وَلَمْ تَكُنِ

هَذِي يَدِي جَسَّهَا الآسِي وَخَامَرَهُ ∴ يَأْسٌ فَغَادَرَهَا صَرْعَى مِنَ الْوَهَنِ[٥]

(١) ديوان البارودي ص ٦٥٧.

(٢) الرَّسَنُ: الْحَبْلُ. والرَّسَنُ: مَا كَانَ مِنَ الأَزِمَّة عَلَى الأَنف، وَالْجَمْعُ أَرْسانٌ. يُنظر لسان العرب لابن منظور ١٣/ ١٨٠، السُّهْدُ والسُّهادُ نَقيضُ الرُّقاد، السُّهادُ الأَرَقُ. يُنظر السابق ٣/٢٢٤، وسني: الوسن: النُّعاس. يُنظر السابق ١٣/ ٤٤٩.

(٣) الضَّنَى: المرضُ، وضَنِيَ الرجلُ، بِالْكَسْرِ، يَضْنَى ضَنىً شَدِيدًا إِذَا كَانَ به مرضٌ مُخامرٌ. يُنظر السابق ١٤/ ٤٨٦.

(٤) الفَنَن: الغُصْنُ. يُنظر السابق ١٣/ ٣٢٧.

(٥) جسّها: الجَسُّ: اللَّمْسُ بِالْيَدِ. يُنظر السابق ٦/ ٣٨، الْآسِي: المُعالِجُ. يُنظر السابق ١٤/ ٣٤.

وَقَــالَ لا تَكْــتُمَنْ أَمْــرَاً عَلَــيَّ فَقَــدْ ∴ عَلِمْــتُ مَــا بِــكَ مِــنْ بَــادٍ وَمُكْــتَمِنِ
فَلَمْ أُجِبْ غَيْرَ أَنَّ الدَّمْعَ نَمَّ عَلَى ∴ وَجْــدِي وَدَلَّتْــهُ أَنْفَاسِــي عَلَــى شَــجَنِي
عَطْفاً عَلَــيَّ فَلَــمْ أَطْلُبْ إِلَيْكِ سِوَى ∴ أَنْ أُمْتِــعَ الْعَــيْنَ مِــنْ تِمْثَالِــكِ الْحَسَــنِ
مَــا لِلْعَــذُولِ رَأَى وَجْــدِي فَأَحْفَظَــهُ ∴ حَتَّــى أَتَــاكُمْ بِقَــوْلٍ مِــنْ هَــنٍ وَهَــنِ[1]
لا تَقْبَلِي العَذْل فِي مِثْلِي فَكُلُّ فَتَىً ∴ حُــرِّ الشَّــمَائِلِ مَحْسُــودٌ عَلَــى الْفِطَــنِ

يُعلن البارودي في أبياته السابقة عن منهجه في الحب فهو متمسك بمحبوبته، محافظ على عهده لها حتى وإنْ كان لا ينعم بوصالها، ولا يأنس بقربها، وإنْ أصابه مِن بُعْدِها السقم، وأنهكه المرض، فهو لا يقبل فيها عَذل العُذَّال مهما كَثُر واشتد، ويدعو محبوبته أنْ تكون مثله في عدم تصديق العُذَّال، وأنت ترى أنَّ البارودي قد استخدم في حديثه عن العَذْل مادة (ع ذ ل) تجد ذلك في قوله: (الْعَذُولِ، العَذْل، للعَذول، العَذْل).

ومن استخدامه مادة (ل و م) قوله:[2] (من الطويل)

سُــكُوتِي إِذَا دَامَ الْحَــدِيثُ كَــلامُ ∴ وَتَقْلِيــبُ عَيْنِــي فِــي الْوُجُــوهِ مَــلامُ
وَصَبْرِي عَلَــى الأَيَّــامِ لا مِــنْ مَذَلَّــةٍ ∴ وَلَكِــنْ يَــدٌ مَغْلُولَــةٌ وَحُسَــامُ
أُلامُ عَلَــى أَنِّــي صَــبَرْتُ وَهَــلْ فَتَــىً ∴ عَلَــى الصَّــبْرِ إِنْ قَــلَّ الْمُعِينُ يُــلامُ

يكشف البارودي في أبياته السابقة عن طريقته في التعامل مع الأحداث، فهو يسكت حينما يرى السكوت أفضل، ويتكلم حينما يرى الكلام أجدى، ويدير أموره كلها تبعا لحاله وما يملكه مِن أدوات، وهو لا يفعل ذلك عن ضعف ولا مذلة، وإنما عن حكمة ودراية؛ لأنَّه أدرى بأحوال نفسه، فلا يسوقه الغضب إلى

(١) الهَنُ والهَنُّ، بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ: كِنَايَةٌ عَنِ الشَّيْءِ لَا تَذْكُرُهُ بِاسْمِهِ. يُنظر لسان العرب لابن منظور. ١٥/ ٣٦٩.

(٢) ديوان البارودي ص ٥٩٨.

ما لا يُريد، ولا يدفعه الغيظ إلى ما لا يبتغي، وهذا ما ينبغي أنْ يكون عليه العقلاء، ولكنَّ ذلك لا يُرضي هؤلاء العُذَّال المتسرعين، الذين لا يُدركون عواقب الأمور، ولا يفطنون إلى خبايا الأحداث فيلومون البارودي على حكمته وصبره، وقد استخدم البارودي في الحديث عن عَذْلهم مادة (ل و م) في ثلاثة مواضع: (مَلامُ، أُلامُ، يُلامُ).

وقد يجمع الشاعر بين المادتين يقول البارودي:[١] (من البسيط)

فَيَا أَخَا الْعَذْلِ لا تَعْجَلْ بِلائِمَةٍ ∴ عَلَيَّ فَالْحُبُّ سُلْطَانٌ لَهُ الغَلَبُ

يطالب البارودي العَذولَ في البيت السابق بالتريث وعدم الإسراع في توجيه اللوم إليه، ويُعلل البارودي طلبه ذلك بأنَّ سلطان الحب قوي يخضع له المحبون، ويمتثل له العشاق، فهم غير مؤاخذين بما يفعلون، وأنت ترى أنَّ البارودي قد جمع بين مادة (ع ذ ل) ومادة (ل و م) في قوله: (أخا العَذْل، بِلائِمَةٍ).

وقد جمع الشاعر بين المواد الثلاثة (ع ذ ل/ ل و م/ ل ح ا) فقال:[٢] (من الطويل)

أَقِلَّا مَلامِي فِي هَوَى الشَّادِنِ الأَحْوَى ∴ فَقَلْبِي عَلَى حَمْلِ الْمَلامَةِ لا يَقْوَى[٣]

كَفَى بِالْهَوَى شُغْلاً عَنِ اللَّوْمِ بِامْرِئٍ ∴ بَرَاهُ الضَّنَى وَاسْتَمْطَرَتْ عَيْنَهُ الْبَلْوَى[٤]

فَلَيْسَ الْهَوَى سَهْلاً فَأَلْوِي عِنَانَهُ ∴ وَإِنْ كُنْتُ يَوْمَ الرَّوْعِ ذَا مِرَّةٍ أَلْوَى

(١) ديوان البارودي ص ٧٢.

(٢) السابق ص ٧١٠.

(٣) الشادِن: وَلَدُ الظَّبْيَةِ. يُنظر لسان العرب لابن منظور ١٣/ ٢٣٥، الأحوى: من الحُوَّة وهي حُمْرةٌ تَضْرب إلى السَّواد. يُنظر السابق ١٤/ ٢٠٦.

(٤) الضَّنَى: المرضُ، وضَنِيَ الرجلُ، يَضْنَى ضَنىً شَدِيدًا إِذَا كَانَ به مرضٌ مُخامرٌ. يُنظر السابق ١٤/ ٤٨٦.

هُـوَ الْحُـبُّ يَعْتَـامُ الْكِـرَامَ وَلَـنْ تَـرَى ∴ لَئِيماً يَنَالُ السَّبْقَ فِي الْفَضْلِ أَوْ يَهْوَى[1]

وَمَنْ ذَا الَّذِي يَقْوَى عَلَى دَفْعِ مَا أَتَى ∴ بِـهِ الْحُـبُّ مِـنْ جـوْرٍ وَسُـلْطَانُهُ أَقْـوَى

سَـبُوقٌ إِذَا جَـارَى لَحُـوقٌ إِذَا هَـوَى ∴ غَلُـوبٌ إِذَا بَـادَى قَتُـولٌ إِذَا أَهْـوَى

لَـهُ سُـورَةٌ لَـوْ صَـادَمَتْ رُكْـنَ يَـذْبُلٍ ∴ وَرَضْوَى لَهَدَّتْ يَذْبُلاً وَمَحَتْ رَضْوَى[2]

فَحَتَّامَ يَلْحَانِي الْعَذُولُ عَلَى الْهَوَى؟ ∴ أَلَيْسَ يَرَى مَا بِي فَيَجْتَنِبَ الشَّكْوَى

لَقَدْ سَامَنِي طَيَّ الْغَرَامِ وَمَا دَرَى ∴ بِأَنَّ الْهَوَى الْعُذْرِيَّ يَكْبُرُ أَنْ يُطْوَى

يستهل البارودي قصيدته بهذا الأمر الجازم مخاطبا عاذِلَيه بأنْ يُقلّا مِن لومه؛ لأنَّ هذا اللوم يؤلم قلبه الضعيف، ولعل الَّذي جعل قلبه ضعيفا ما يُلاقيه من صدود المحبوبة، وعدم وصالها وقد أشار إلى ذلك بقوله: (من الطويل)

كَفَى بِالْهَوَى شُغْلاً عَنِ اللَّوْمِ بِامْرِئٍ ∴ بَرَاهُ الضَّنَى وَاسْتَمْطَرَتْ عَيْنَهُ الْبَلْوَى[3]

ولو أنَّه ينعم بوصال محبوبته ما براه الضَّنى، ولا داخله السقم، ولا حلَّت به بلايا الحُب، وهو مع ذلك الضَّنى وما يُعانيه مِن صدود ما يزال مصرا على حُبّه مستمسكا بمحبوبته، وهذا هو دأب العاشقين الصادقين، يُلاقون في سبيل حبهم ألوانا من العذاب، وأشكالا من المعاناة ويظلون مستمسكين بحبهم، وما ذلك إلا لعِظم سلطان الحب، وشدة سطوته، ولذلك فإنَّ الحب لا ينزل بالجميع بل يختار مَن ينزل بهم بدقة، فلا يختار إلا الكريم الَّذي يتحمل الصعاب، ويستعذب الآلام في سبيل حبه، وفي هذا إشارة إلى أنَّ هذا العذول ليس بكريم بل هو لئيم

---

(١) يَعْتَامُ: يختار. يُنظر لسان العرب لابن منظور ١٢/ ٤٣٣.

(٢) يَذْبُلُ: بالفتح ثم السكون، والباء موحدة مضمومة هو جبل مشهور الذكر بنجد في طريقها. يُنظر معجم البلدان لياقوت الحموي ٥/ ٤٣٣، رضوى: جبل بالمدينة. يُنظر السابق ٣/ ٥١.

(٣) الضَّنَى: المرضُ، وضَنِيَ الرجلُ، بِالْكَسْرِ، يَضْنَى ضَنىً شَدِيدًا إِذَا كَانَ به مرضٌ مُخامرٌ. يُنظر لسان العرب لابن منظور ١٤/ ٤٨٦.

لا يرتضيه الحب ليكون أحد مَن ينالهم، ولجهل العَذول بقيمة الحب تجده لا يكف عن لوم المحبين وتأنيبهم، وقد استخدم الشاعر في الحديث عن العذل في هذه الأبيات المواد اللغوية الثلاث (ع ذ ل/ ل و م/ ل ح ا) تجد ذلك في قوله: (مَلامِي، الْمَلامَةِ، يَلْحَانِي، الْعَذُولُ).

يتبين لنا مما سبق أنَّ البارودي استخدم ثلاث مواد لغوية وتصريفاتها في الحديث عن العَذْل، وإنْ أكثر من استخدامه مادة: (ع ذ ل) ومادة (ل و م)، ولم يستخدم مادة (ل ح ا) إلا مرة واحدة.

وإذا انتقلنا للحديث عمن يقوم بالعَذْل وجدنا أنَّ أغلب عاذلي البارودي مِن المفرد المذكر، وندر مجيء المرأة عاذلة في شعره، كما قلَّ مجيء العذول مثنى وجمعا، فمن مجيء العَذْل مِن المفرد المذكر قول البارودي: [١] (من الوافر)

أَعَاذِلُ خَلِّنِي وَشُؤُونَ قَلْبِي ∴ وَخُذْ مَا شِئْتَهُ فِي أَيِّ شَانِ

في البيت السابق يطلب البارودي مِن عاذله أنْ يتركه يحيا مع حبه وألا يلومه فيما يتعلق بأمور هيامه وعشقه، بينما يُفسح لعاذله المجال في أنْ يلومه أو يحادثه في أمور أخرى، وفي هذا إشارة إلى أنَّ الدافع لعذله هو شفقته على الشاعر وخوفه عليه.

ويقول البارودي: [٢] (من الكامل)

تاللهِ لَوْ عَلِمَ الْعَذُولُ بِمَا جَنَى ∴ طَرْفِي عَلَيَّ لَسَاءَهُ أَنْ يَشْمَتَا

يُشير البارودي في البيت السابق إلى أحد بواعث العَذْل وهو جهل العذول بما يُعانيه المحبون في سبيل حبهم، ولو أنَّه علم بحاله ما لامه، وقوله: (لَساءَهُ

(١) ديوان البارودي ص ٦٤٨.

(٢) السابق ص ٩٤.

أَنْ يَشْمَتَا) فيه إشارة إلى أنَّ هذا العذول مِن حاسدي الشاعر أو كارهيه بدليل شماتته في الشاعر.

فالبيتان السابقان وغيرهما من النماذج التي تناولتها الدراسة تدل على أنَّ أكثر عاذلي البارودي مِن المفرد المذكر.

ومِن مجيء العَذْل مِن الأنثى قول البارودي:[1] (من الطويل)

فَكَيْفَ تَلُومِينِي عَلَى مَا أَصَابَنِي ∴ مِنَ الْحُبِّ يَا لَيْلَى وَأَنْتِ غَرِيمُ

يُنكر البارودي في البيت السابق على محبوبته (ليلى) لومها إياه، وهي شريكته في الحب والهوى، فكيف بها تلومه، وكان يرتجي منها أنْ تكون عونا له، فإذا بها تزيد مِن آلامه.

ويقول البارودي في موضع آخر:[2] (من الوافر)

أَلَيْلَى مَا لِقَلْبِكِ لَيْسَ يَرْثِي ∴ لِمَا أَلْقَاهُ مِنْ أَلَمِ الْفِرَاقِ

كَتَمْتُ هَوَاكِ حَتَّى نَمَّ دَمْعِي ∴ وَذَابَتْ مُهْجَتِي مِمَّا أُلاقِي

وَرَقَّتْ لِي قُلُوبُ النَّاسِ حَتَّى ∴ بَكَى لِي كُلُّ سَاقٍ فَوْقَ سَاقِ

تَلُومِينِي عَلَى عَبَرَاتِ عَيْنِي ∴ وَلَوْلا الْحُبُّ لَمْ تَجْرِ الْمَآقِي

يستهل البارودي أبياته بهذا النداء الَّذي يُشير إلى قرب (ليلى) منه قربا معنويا ونفسيا على الرغم مِن فراقها له، ثم يُسائلها كيف أنَّ قلبها لا يُشفق عليه، ولا يشعر به، ولا يحزن على فراقه، وهو الَّذي رقت له قلوب الناس جميعا، ووراء هذا الكلام إشارة إلى أنَّ قرب محبوبته هو المرجو دون غيره فهو لا يعنيه أنْ ترق له قلوب العالمين وقلب ليلى يجافيه، وقد وجَّه الكلام لقلبها لأنَّه محل الحب

(١) ديوان البارودي ص ٥٩٤.

(٢) السابق ص ٣٦٨.

والعاطفة، ثم إنَّه ينكر عليها لومها له على كثرة بكائه وفيض عبراته مع أنَّها سبب ذلك، فهي قد جمعت بين الصدود والعَذْل.

ومِن مجيء العَذْل مِن المثنى قول البارودي:[١] (من الخفيف)

يَـا نَـدِيمَيَّ فِـي سَـرَنْدِيبَ كُفَّـا ∴ عَنْ مَلامِي فَلَيْسَ يُغْنِي الْمَلامُ[٢]

أَنَـا فِـي هَـذِهِ الـدِّيَارِ غَرِيـبٌ ∴ وَغَرِيـبُ الـدِّيَارِ لَـيْسَ يُـلامُ

وَاذْكُـرَا لِـي فُسْـطَاطَ مِصْـرَ فَـإِنِّي ∴ بِهَوَاهَـا مُتَـيَّمٌ مُسْـتَهَامُ

عاش البارودي في منفاه زمنا طويلا، وقد عانى في منفاه مِن الغربة كثيرا، وما أشد الغربة إذا كانت عن غير رغبة، وما أشد الغربة والنفي على عزيز النفس، إنها بمثابة المرض الَّذي ينهش جسد صاحبه، ثم لا يتركه إلا صريعا، والبارودي في أبياته هذه يذكر أنَّ له نديمين يلومانه ولكن لم يذكر مَن هما، وكذا لم يُشر محقق الديوان إليهما، ولم يذكر البارودي أيضا الشيء الَّذي يلومانه عليه، ولعلهما يلومانه على شوقه إلى موطنه مصر، وهو لا يشتاق إلى الوطن فحسب وإنْ كان الشوق إليه كبيرا، وإنما يشتاق إلى كل ما كان عليه في موطنه مِن حرية ومنعة وعز وجاه وشباب.

ومن مجيء العَذْل من الجمع قول البارودي:[٣] (من الطويل)

يَلُومُـونَنِي فِـي الْجُـودِ وَالْجُـودُ مُزْنَـةٌ ∴ إِذَا هَمَلَـتْ فِـي مَوْضِـعٍ نَبَتَ الشُّكْرُ

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يُنْفِقْ مِنَ الْمَالِ وُسْعَ مَا ∴ دَعَتْـهُ الْمَعَـالِي فَـالثَّرَاءُ هُـوَ الْفَقْـرُ

---

(١) ديوان البارودي ص ٦٢٤.

(٢) سَرَنديب: بفتح أوّله وثانيه، وسكون النون، ودال مهملة مكسورة، وياء مثناة من تحت، وباء موحدة هي جزيرة عظيمة في بحر هركند بأقصى بلاد الهند. يُنظر معجم البلدان لياقوت الحموي ٣/ ٢١٥، ٢١٦.

(٣) ديوان البارودي ص ٢٧٩.

الجود مِن الأفعال الحميدة التي يحب الكثير مِن الناس أنْ يتصف به، ولكنَّه أمر يحتاج إلى مجاهدة النفس وترويضها حتى تستمر في العطاء، والمرء إذا أنعم الله عليه بالمال فضنَّ به وبخل أصبح غناه فقرا، وماله لا قيمة له، ومَن يلوم البارودي على جوده ليس فردا ولا فردين وإنما جماعة وربما كانوا مشفقين عليه، ولكنهم لا شك لم يصلوا إلى ما وصل إليه البارودي مِن قناعة بأنَّ المال يجب ألا يُضنَّ به، وقوله: (دَعَتْهُ الْمَعَالِي) فيه إشارة إلى حكمة البارودي في إنفاق ماله، فهو ليس بالسفيه الَّذي يضيع ماله، أو ينفقه في غير موضعه، وإنما ينفقه في فضائل الأمور.

ويقول البارودي في موضع آخر:[1] (من الطويل)

يَلُومُونَنِي أَنْ هِمْتُ وَجْدًا بِحُسْنِهَا ∴ وَأَيُّ امْرِئٍ بِالْحُسْنِ لَيْسَ يَهِيمُ

يشير البارودي في هذا البيت إلى كثرة لائميه في محبوبته، التي هام بحسنها وجمالها، ثم يُشير البارودي إلى أنَّه كان ينبغي على هؤلاء اللائمين أنْ يعذروه لا أنْ يعذلوه على هيامه؛ لأنَّه يرى أنَّ حُسن محبوبته جدير بأنْ يكون سببا للهيام، ودافعا للوجد والحب.

يتضح لنا مما سبق أنَّ عاذلي البارودي كانوا فُرادى ومثنى وجماعات، وهذا يدل على أنَّ العَذْل قد شغل حيزا ملموسا في شعره.

(١) ديوان البارودي ص ٥٩٣.

خاتمة البحث

الحمد لله الَّذي بنعمته تتم الصالحات، وبمنِّه وتوفيقه تتحقق الآمال، وتُقضى الحاجات.

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين.

أمّا بعد

فقد انتهيت –بفضل الله وعونه– مِن إعداد هذا البحث الَّذي تناول "بواعث العَذْل وأنماطه في شعر البارودي"، والذي تحدثت فيه عن مفهوم العَذْل وبواعثه، ومواطن وروده في شعر البارودي، وعن البنية الفنية للقصائد والمقطوعات والنتف التي ورد فيها العَذْل، والمعجم اللغوي للعَذْل، وبعد هذه الوقفة المتأنية مع ظاهرة العَذْل في شعر البارودي خلصتُ إلى عدة نتائج من أهمها:

١– أنَّ العَذْل شكّل ظاهرة كبيرة في شعر البارودي، وإنْ جاء أكثره في العذل على الحب.

٢– تَعدُّد بواعث العذل في شعر البارودي.

٣– أنَّ العَذْل جاء في القصائد الطويلة، كما جاء في المقطعات والنتف.

٤– أغلب العَذْل صدر عن المذكر وصدر بعضه عن المؤنث.

٥– صدر العَذْل في أغلب شعر البارودي عن المفرد وصدر قليلا عن المثنى، والجمع.

٦– جاء أغلب العَذْل في شعر البارودي مِن مادة (ع ذ ل) أو مادة (ل و م) وتصريفاتهما، وجاء مرة واحدة بمادة (ل ح ا)

ويوصي البحث بأنْ تتم دراسة ظاهرة العَذْل عند شعراء مدرسة الإحياء والبعث، أو بين البارودي وشاعر آخر.

والله مِن وراء القصد وهو يهدي السبيل

فهرس المصادر والمراجع

- الأعلام للزركلي– مطبعة دار العلم للملايين – الطبعة الخامسة عشرة– عام ٢٠٠٢م.
- الأمثال المولدة لأبي بكر الخوارزمي – مطبعة المجمع الثقافي – أبو ظبي – عام ١٤٢٤هـ.
- البارودي رائد الشعر الحديث للدكتور شوقي ضيف– مطبعة دار المعارف – الطبعة الرابعة.
- تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي –مطبعة دار الهداية – دون ذكر رقم الطبعة وسنة الطباعة.
- التذكرة الحمدونية لابن حمدون – مطبعة دار صادر– بيروت – الطبعة الأولى – عام ١٤١٧هـ.
- تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي – تحقيق: محمد عوض مرعب – مطبعة دار إحياء التراث العربي –بيروت– الطبعة الأولى –عام ٢٠٠١م.
- التواصل الحجاجي في الشعر العربي قبل الإسلام –العاذلة أنموذجا – د. ألحان عبد الله محمد – مجلة أداب الرافدين العدد ٧٨ عام ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٩م.
- الجود والبخل في الشعر الجاهلي للدكتور محمد فؤاد نعناع – مطبعة دار طلاس – دمشق– سوريا – الطبعة الأولى: ١٩٩٤م.
- ديوان ابن خاتمة الأنصاري – تحقيق وشرح د. محمد رضوان الداية– مطبعة دار الفكر – دمشق – الطبعة الأولى – عام ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
- ديوان البارودي – تحقيق علي الجارم، محمد شفيق معروف – مطبعة دار العودة – بيروت ١٩٩٢م.

- ديوان المعاني لأبي هلال العسكري – دار الجيل – بيروت – دون ذكر رقم الطبعة وسنة الطباعة.
- الرسائل الأدبية للجاحظ – دار ومكتبة الهلال– بيروت – الطبعة الثانية– عام ١٤٢٣هـ.
- طوق الحمامة وظل الغمامة في الأُلفة والأُلَّاف لابن حزم الظاهري تحقيق: عبد الحق التركماني – مطبعة دار ابن حزم – بيروت – لبنان – الطبعة الثانية –عام ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.
- ظاهرة العذل في شعر حاتم الطائي د. علي أبو زيد – مجلة جامعة دمشق –العدد الأول – المجلد ١٢ – عام ٢٠٠٠م.
- العَذْل الديني والمعرفي في الشعر الصوفي للدكتور عباس يوسف الحداد – مطبعة دار الحوار – سوريا – الطبعة الثانية – عام ٢٠٠٩م.
- عذل الشاعر في الشعر العربي القديم حتى نهاية العصر الأموي رسالة ماجستير للباحثة أسماء بنت عبد الله بن محمد الزيد –إشراف د. عبد الله محمد العضيبي – جامعة أم القرى بالسعودية– ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م،
- لسان العرب لابن منظور – مطبعة دار صادر – بيروت – الطبعة الثالثة – ١٤١٤هـ.
- محمود سامي البارودي إمام الشعراء في العصر الحديث للشيخ كامل محمد محمد عويضة – مطبعة دار الكتب العلمية– بيروت – الطبعة الأولى عام ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
- محمود سامي البارودي للدكتور عمر الدسوقي – مطبعة دار المعارف – عام ١٩٧٠.
- المخصص لابن سيده تحقيق/ خليل إبراهيم جفال – مطبعة دار إحياء التراث العربي – بيروت – الطبعة الأولى– عام ١٤١٧هـ /١٩٩٦م.

- معجم البلدان لياقوت الحموي –مطبعة دار صادر – بيروت – الطبعة الثانية – عام ١٩٩٥م.
- المعجم العربي لأسماء الملابس إعداد: د. رجب عبد الجواد إبراهيم مطبعة دار الآفاق العربية– القاهرة – جمهورية مصر العربية –الطبعة الأولى– عام ١٤٢٣هـ /٢٠٠٢م.
- معجم المؤلفين للأستاذ عمر رضا كحالة – مطبعة مكتبة المثنى – بيروت – ودار إحياء التراث العربي بيروت.

فهرس الموضوعات

م	الموضـــــــوع	الصفحة
١.	ملخص.	٢٩٥
٢.	Abstract.	٢٩٦
٣.	مقدمة.	٢٩٧
٤.	تمهيد.	٣٠٠
٥.	١- مفهوم العَذْل.	٣٠٠
٦.	٢-التعريف بالبارودي.	٣٠٤
٧.	المبحث الأول: بواعث العَذْل في شعر البارودي.	٣٠٧
٨.	المبحث الثاني: أنماط العَذْل في شعر البارودي.	٣١٤
٩.	المبحث الثالث: العَذْل والتشكيل الفني للقصيدة.	٣٢٩
١٠.	خاتمة.	٣٤٠
١١.	فهرس المصادر والمراجع.	٣٤١
١٢.	فهرس الموضوعات.	٣٤٤